عمق حادث المنصة (٢)

للشاعر الانجليزي «شيللر» قصيدة، تقول بعض أبياتهـا . . «انهض بجسـارة بجناحين . . . ».

«وحلق فوق عصرك . . ».

وأنا لا أعرف متى قيلت القصيدة وما مناسبتها لكني تذكرت هذين البيتين : وأنا أقابل «هيكل» للمرة الثانية . . ربما لأنه يعطيني احساساً انه بعد احتجاب فرض عليه ولـم يكن باختياره . . «نهض بجســارة . . بجنــاحين» . . و «يحلــق فوق عصره» !

ان هيكل، ينطبق عليه المثل الاسباني القائل «ان تعيش بدون هم، فهذا هو الهم»، وتظل هموم مصر . . بالدرجة الأولى ـ هي قدر هيكل ومحطات صدامه !

صباح يوم أربعاء، كان الموعد، زرته في مكتبه بشقته المطلة على النيل، إذ كان بيننا حوار . . انقطع أياماً . . ويشتاق للوصل !

● مجلة صباح الخير ـ ١٩٨٢/١/٢١ ـ مفيد فوزى

كان هيكل يقول: «ما حدث على المنصة يوم ٦ أكتوبر عام ٨١ هو الجزء الظاهر من عائمة الجليد.. والجزء المختفي أكثر» قالها كحقيقة ثم سكت!

تبنيت نظرية الراحل د. محمود فوزي الخالدة والمشهورة عنه: الصمت، مؤمناً بالمثل الانجليزي «الاصغاء الجيد حديث جيد»!

صمتي المتعمد أغرى هيكل بالتدفق كان مهماً أن أعرف رؤيته للحادث وأسجلها فربما لفرط «الجوار» من الأشياء نفقد الرؤية السليمة والحكم الصحيح لقد كان هيكل يراقب.. ويرى أن..

فماذا رأى؟!

■ عمق حادث المنصة أنه مشكلة اقتصادية اجتماعية، أنا أرى شباباً مصرياً في حالة With drawal انسحاب من المجتمع. ينسحب سواء بالهجرة إلى العالم العربي ليحسن أوضاعه المالية أو بالهرب إلى الجماعات الدينية المتطرفة، لأنه فقد الحلم، وعندما يضيع الحلم تحدث عملية هروب إلى كهوف الغرائز، لقد كتبت هذا الكلام يوماً ما، قلت بالحرف الواحد «عندما يهرب الناس من شمس العقل يدخلون كهوفاً معتمة...» لقد حاولت أن أنبه الانظار إلى مدى خطورة «غياب» الحلم أمام الشباب قبل أن تتفاقم مشكلة الجماعات الدينية ويصل تطرفها، ذلك المدى!

● قلت لهيكل: وأنت تتحدث عن الأحلام في حياة شبابنا، أعلم أنك تتحدث عن واقع محسوس، ليس شعراً فيه أمطار حزن أو شلالات شجن.

■ قال: هو واقع محسوس حقاً، فأنا أدعي أن مصر الخمسينيات والستينيات كان عندها أحلام، كانت تقود حركة تحرير وطني، زعيمة الأمة العربية، تقيم سياسة تصنيع، تبني السد العالي، تخوض معركة السويس، تتزعم دول عدم الانحياز، كل

شاب يخرج من الجامعة إلى ميدان الحياة العملية يعرف أنه سيجد وظيفة وبيتاً بسعر معقول، كان هناك محاولات تثبيت أسعار، إذا كان هناك أمام الشاب تضحية ومعاناة، فلا بأس ما دام ليس هناك أصحاب ملايين، وإذا كان هناك «صاحب ملايين». فهو يخفي «ثروته» لكنه لا يظهر في الشارع المصري بهذه الصورة السوقية VULGAR وعلى أي حال، كان عدد أصحاب الملايين في الستينيات قليلاً جداً.

● استأذنت الأستاذ هيكل في جملة اعتراضية قصيرة! أعطاني اذنه فقلت «كان هناك أيضاً في مصر الستينيات ـ أيام عبد الناصر ـ فساد فلم يكن العصر منزهاً أو غارقاً في البراءة والطهارة. . . ».

■ قال هيكل. . «لكنه كان فساداً من نوع آخر، فساد في حدود الرشوة! أن ترشو موظفاً لاستعجال مصلحة ما لديك. . أن ترشو «عسكري مرور» قبل أن يحرر لك مخالفة كانت رشوة في حدود اجتماعية ضيقة، لكنها لم تكن بهذا الاتساع الهائل الذي يصم أذنيك طنينه!

ثم صمت هيكل كلاعب الكرة الماهر الذي يتوقف بالكرة لحظة ليسددها داخل المرمى وقال لي: هل تعرف عدد أصحاب الملايين اليوم ـ وأنت تعيش داخل الوسط الصحفي ـ ولك أذنان للسمع؟

إنهم عشرة آلاف واحد! تعال نتساءل: كيف حدث هذا؟! أنت تعيش في بلد متوسط دخل الفرد فيها (٣٥٠ دولاراً في السنة) في بلدك خمسة ملايين أسرة بمتوسط دخل قدره (٣٠ جنيهاً في الشهر) فكيف تستطيع أسرة أن تعيش بهذه القروش؟! ضع في اعتبارك أن متوسط عدد أفراد الأسرة في مصر خمسة أشخاص: فكيف تحيا قل لي!!

كانت مصر الستينيات ـ وليس هذا تحيزاً ـ عامرة بالأحلام، كان الحلم يتمثل في «اعتزاز بوطن وتجربة»، و«اعتزاز بالانتماء لقومية»، لقد كانت مصر تقود حركات سياسية في العالم، مثلاً، كان مطلوباً من مصر يوماً ما حل مشكلة فيتنام، كانت مصر طرفاً فعالاً في كل قضية عبر زعامتها للعالم العربي، وسط هذا المناخ كان الشاب المصري يحس بكيانه الاعتباري، لم يكن قد وصل لحالة الذل،

عندما ينسحب من الميدان فاراً إلى بلد عربي يجمع قرشين ويعود ليشتري شقة أو يدفع مهراً لعروس تنتظره!

الحلم المصري الذي كان في الستينيات سواء في تجسيده أو في رموزه المعنوية ضاع من الشباب المصري.

● **قلت لهيكل: لقد ضاع «الحلم» أيضاً يوم هبت رياح النكسة وعصفت بكل شيء وأظن أن نسمات الحلم عادت بعد عبور ٧٣. . فهل بالغت في التقديرات؟**

■ قال هيكل: إنصافاً للحقيقة، فأنا أعتقد أنه بعد حرب أكتوبر استعيد كل ما ضاع بعد ١٩٦٧، وقد كنا في حرب أكتوبر نملك كل عناصر القوة، وكان العالم العربي يحارب معنا بسلاح البترول، وكانت الدنيا تنتظر، أمريكا ترقبك. . الاتحاد السوفيتي معك كطرف، ثم كانت لدينا فرصة استعادة الحلم، والمضي أكثر لتحقيقه. . ! ومع الأسف لم يحدث ما تمنيت! لقد شعرت وقتئذ أننا على مفترق طرق (الرئيس السادات، وأنا) ومصر ـ قبلنا ـ كانت على مفترق الطرق، لقد كتبت مقالاً أعبر فيه عن رأيي، وكنت أعلم مقدماً أنها ستؤدي إلى صدام ولكن لم يكن هناك حل آخر أمامي! كنت أعلم أن هذا موقف تاريخي، لا بد أن يقول الكاتب فيه كلمته، كنت مؤمناً أن كل واحد ـ في مصر ـ يجب أن يقف و«ينعد صوته» To stand up and be counted وكانت محطة صدام!

■ قال هيكل: لقد وضعتني الظروف لفترات طويلة بالقرب من صانع القرار المصري، كانت هناك صداقة ربطتني بالرئيس جمال عبد الناصر وبالرئيس أنور السادات بعده وكنت ألخص مهمتي كصديق بالقرب من صناع القرار في عنصرين لا ثالث لهما، وأعتقد أنهما العنصران اللازمان لكل من تضعه الظروف التاريخية بقرب صانع القرار في أي بلد من البلدان.

ـ أولهما: أن لا يفاجأ صانع القرار بأي تطور أو بأي تيار فكري.

ـ ثانيهما: عندما يقع أي تطور أو يبرز أي تيار، فلا بد أن تكون هناك بدائل متعددة الحركة بحيث لا يجد صانع القرار أنه أمام خيار واحد لا مناص من قبوله!

● **قلت لهيكل: يبدو أننا ابتعدنا بقارب الحوار عن الشاطىء الذي كنا نرسو عنده، لقد كنت أطلب تخيلك لحادث المنصة!**

■ قال بابتسامته التي تبدو فيها الثقة أكثر من الابتسامة: نحن لم نبتعد عن الموضوع، إنها «روافد» متعددة تصب في قضية واحدة، وهي قضية غياب الحلم من حياة الشباب المصري.. مما جعلهم ينسحبون أو يدخلون الكهوف المعتمة أياً كانت التسميات. وأريد أن أتساءل أمامك: هل يعقل أنه في خريف ٨١ يزج ببلد بأكمله في السجن؟ بكل اتجاهاته: اليمين واليسار والوسط وقبل ذلك مشايخ مسلمين وبابا الأقباط؟! ويطرح التساؤل تساؤلاً آخر: هل يعقل أن يستفتي على مصير «بابا الأقباط» في شعب فيه أغلبية مسلمة؟ هل يعقل أن تستفتي أقلية في مصر على مصير الجماعات الدينية الاسلامية؟! معنى ذلك أن هناك «تراكمات» كثيرة خاطئة أدت إلى حادث المنصة! إن مشهد المنصة كان «ختاماً» وليس «بداية». إن الحادث هو «قمة» ما جرى ولكن الخلفية عبارة عن أخطاء وتعقيدات لا حدود لها. أخطاء وتعقيدات اقتصادية واجتماعية وفكرية وسياسية.. حتى في «الانتماء»!

والتفت لي هيكل فجأة وسألني: ألست تريد الصراحة؟ هل نلف وندور حول الموضوع دون أن ندخل إلى صميمه وجوهره؟

أومأت برأسي بشدة فاستطرد يقول: كيف نقول لشبابنا أن عصر ما قبل ٢٣ يوليو، كان عصر فساد، ونقول له في نفس اللحظة وعصر جمال عبد الناصر كان فيه تجاوزات، والوجه المضيء على مدى مشوار مصر يبدأ فقط من عصر الانفتاح حتى كامب دافيد! هل يعقل هذا؟! كان هناك خلل، فما حدث على المنصة كان ومضة برق أو صدام رعدي إن جاز لي التعبير، كشف أشياء كثيرة عليك أن تتنبه لها.. وتعيد ترتيب أوراقك!

● **قلت همساً: هل هذا مطلوب في هذه اللحظة من تاريخ مصر مع الرئيس مبارك؟**

■ قال هيكل: نعم، واحد من المطلوبات الأساسية، لا بد من دراسة ما حدث بعمق كبير، لأن نتيجة هذه الدراسة تقودنا حتماً للأسئلة الحيوية الكبيرة وأهمها ـ وأنا أشعر بخجل وأنا أقولها ـ من أنت؟! لا بد من تحديد هويتك في هذا العالم

وماذا تريد وما هي وسائلك لتحقيق ما تريد، وهل هي في مقدورك أو تعجز طاقتك عنها، وكيف يمكن «مرحلتها» بالزمان والمكان إذا كانت فوق طاقتك؟!

● **قلت لهيكل: أنا لا أشك لحظة في أنك تعادي هذا الأسلوب المحتقن من الحوار.. حوار الرصاص؟**

■ قال بسرعة: لا أحد في الدنيا يقبل الحوار بالرصاص، ولكن لا تنس أن الحوار بالرصاص كان رداً على «عنف» زادت حدته وأصبح من الصعب أن تحدد من الذي بدأ بالعنف! وتعال نبحر إلى الوراء قليلاً بقاربنا إلى ١٨ و ١٩ يناير يوجد حكم صادر من المحكمة يقول «كان الناس على حق عندما ثاروا». لقد أصدر القضاء المصري حكماً في تلك الفترة لا أذكر نصه الحرفي ولكن فحواه أن الناس فوجئت بتصرفات غير طبيعية أعقبها ارتفاع في الأسعار وجد فيه أغلب المواطنين أنهم غير قادرين على الحياة، فلماذا أطلقنا عليها ثورة حرامية ثم قمعناها بعنف عام ١٩٧٧ إن هناك شاهد إثبات على ما قلت هو المهندس سيد مرعي، لقد قلت له أنه من الممكن قمع ما جرى هذه المرة في الشارع ولكنه سوف يتحرك بعد ذلك إلى تيار عنف فردي قلت هذا الكلام في يناير ١٩٧٧، وقد كان حادث المنصة «الترجمة الفعلية» للمأساة أنا لا أقول تنبأت به، ولكن حاولت أن أدق الجرس!

تساؤلات هيكل ذكرتني بقول فولتير «تستطيع اكتشاف انسان من نوع أسئلته لا من اجاباته فقط..» إن هيكل يشعر دائماً أن هناك اتفاقية شرف بين الكاتب وقرائه.. ومن أهم بنود هذه «الاتفاقية» المصارحة بالحقائق.. وأسلوب هيكل في المواجهة بسيط للغاية، إنه يتساءل بغضب، لكنه غضب الغيور على بلده.. و!

وقطع تأملاتي فنجان قهوة، اشتقت إليه، فجاء في لحظة الشوق العارمة.

على مكتب هيكل لفت نظري مسودات كتاب جديد، وربما مقالات، لكن هناك في ركن قصي «كروت معلومات»، إنه يكتب على ضوء المعلومات، وفي غيابها تصبح الكتابة هشة وينقصها الدقة!

■ قال هيكل بعد أن قرأ فضولي: هذه مسودات كتاب بالفعل عن حياة جمال عبد الناصر، وبمعنى أدق عن مصر في تلك الفترة، بين ٤ فبراير عام ٤٢.. إلى حرب أكتوبر. أنا أعتقد أن هذه الحقبة تمثل جذور عبد الناصر.

لم أمرر كلام هيكل بسهولة، صحيح.. لن يعترض جهاز التسجيل لأنه يسجل كل شيء دون غربلة حتى دق وخبط همال البياض في الغرف المجاورة، لكنني أملك الاعتراض إذا أردت، فلست ـ رغم حبي واحترامي لهيكل ـ أقيم حفل تكريم له فوق الورق، إنه لا يحتاج إلى مساهمتي ولذلك سألته الايضاح عن تصوره أن «جذور عبد الناصر ممتدة إلى حرب أكتوبر».

■ قال هيكل: ليس في الأمر أي غموض، نعم، لقد ظل دور عبد الناصر ممتداً حتى حرب أكتوبر عام ٧٣ رغم رحيله، لقد كان عبد الناصر طرفاً أساسياً في مرحلة الاعداد لحرب ٧٣، لا أحد ينكر هذا، لقد كان الرئيس حسني مبارك قائد الطيران وقتئذ، وكان يعلم أن هناك شيئاً اسمه «خطة جرانيت واحد عبور» ويعلم أن حائط الصواريخ مبني في عهد عبد الناصر، وجاء الرئيس السادات وله فضل، فأضاف إلى هذا وتحمل مسئولية القرار.

● **قلت لهيكل: هناك مثل عامي يقول: البعيد عن السلطان، سلطان، هل طرحته على نفسك مرة؟**

■ ضحك هيكل وفهم مرمى سؤالي وقال: الغني هو الغني عن الناس، الموضوع ـ في نهاية الأمر ـ أن تكون نفسك وتجد سلامك الداخلي وتعرف جيداً ماذا تريد!

● **قلت: أريد شهادتك على الصحافة المصرية!**

■ قال: سؤالك مباشر وأنا أحب المقدمات قبل الدخول في الموضوع مباشرة.

● **قلت لهيكل: لا يحتمل السؤال مقدمات إنني أقتحم مرصدك!**

■ صمت.. وبعد لحظة تفكير قال: ما يفزعني في الصحافة المصرية «التسطيح اللي حاصل» تكتب كتابة إنشائية، لقد كنا نناقش في أوائل هذا القرن قضايا لا نجسر على مناقشتها الآن، في مصر كانت هناك مناقشات عن الدين وعن الديمقراطية وعن العلمانية، كان نقاشاً حراً وجريئاً وأكثر حرارة.

● **لأن الحقيقة لا تقبل القسمة على اثنين، قلت لهيكل: لماذا لم تنضم لأي حزب من أحزاب مصر، هل هذه شهادة صامتة على الأحزاب؟!**

■ قال وهو يسند ظهره إلى الوراء في مقعده: الانتماء لحزب معناه التقيد بأفكار

الحزب في كل الظروف وأنا لا أعتقد أن هذا دوري هنـاك صحفـي حزبـي، لا اعتراض، وهذه صحافة رأي، لكن الصحافة التي أؤمن بها وهي صحافـة الخبـر وترجمة هذا الخبر للناس والتعليق عليه وتحليل أبعاده، هذه العملية مطروح منها الحزبية وبالتالي لست حزبياً!

● قلت لهيكل: هذا الاخلاص الكبير لمهنة الصحافة يجعلني أتساءل: لقد كنت في يوم من الأيام بقرب رأس السلطة وليس بقرب ذيلها، ألم يكن ممكناً أن تقدم للمهنة «خدمة» أكثر، أنا لا أقصد بالخدمة الجهد المهنـي البحـث فأنت أعطيت المهنة كمهنة ـ عبر الاهرام ـ الكثير، وأرسيت قيماً صحفية في الاهرام، ولكني أقصد أبناء المهنة، ألم يكن ممكنـاً أن تضيف إلـى قوانين الصحافة شيئاً، إنتصاراً لمهنة أحببتها وقدمت شبابك لها ودخلت السجن يوماً من أجلها؟!

● قال هيكل: أعتقد ـ والسجل شاهد ـ إنني قدمت للمهنة ولأبناء المهنة قدر ما أستطيع، ولا أريد الدخول في تفاصيل لكي لا أنكأ جراحاً قديمة! لكن الواضح أنني قدمت للمهنة سواء للأفراد أو للجماعات أو حتى للمؤسسات الشيء الذي لا يستهان به، لعلك تذكر عندما كنت «وزيراً للاعـلام» كان أول هدف حققتـه هو «اتحاد الاذاعة والتليفزيون». ورجوت الدكتور مصطفى خليل أن يتولى مسئولية هذا المنصب الجديد، وكنت سعيداً بقبوله، وربما كان الهدف من هذا الاتحاد هو كيف نقيم (بي. بي. سي عربية). وكنت أحضر اجتماعاته تحت رئاسته! كنـت حريصاً على الاستقلال الكامل لجهازي الاذاعة والتليفزيون وتكون مفتوحة لكل اتجاه.

وليس سراً أن د. مصطفى خليل ذهب إلى لندن ليدرس نظام الـ بي بي سي، ولا أدري على وجه الدقة الحال الذي وصل إليه هذا المنصب الآن، هناك شيء آخر كنت أطرحه أمام الرئيس السادات بحضور الرئيس عبد الناصر وهـو تحـويل المؤسسات الصحفية إلى جمعيات تعاونية تنتخب مجلس ادارة وهو الذي «يعين» رؤساء التحرير. . وحاولت «تطبيق» ما حلمت به في الأهرام ولكن ظروفاً وقفت في

طريقه. . كسد منيع! المهم أن موقفي للمهنة وأبناء المهنة، موجود والسجل ـ كما قلت لك ـ شاهد.

خذ مثلاً آخر، أقرأ القانون الذي صدر بتنظيم الصحافة العربية المتحدة (أخبار اليوم والأهرام). لقد كان الخطوة الأولى في انشاء جمعيات عمومية واستقلال كامل للصحف بعيداً عن الاتحاد الاشتراكي، أنت تذكر جيداً أن المعركة مع الاتحاد الاشتراكي كانت من أجل أن يرفع يده عن الصحافة وأنا الذي وقفت في وجهه وحدي، بالنسبة للجهد المهني، قدمت في الأهرام تجربة أعتقد أنها كانت جديدة، والأهرام ليس ملكي ففي عام ٥٨ اخترت ٥٤ شاباً وشابة من الجامعة وفتحنا كتاباً من الكتاتيب! وتخرجت من هذا الكتاب المجموعة المرموقة في الصحافة المصرية، لقد حاولت اقامة أعمدة مدرسة جديدة في الصحافة تعتمد على الخبر الصحيح وما تسبق به من أنباء ولعله يلفت نظرك أن أغلب الذين اعتقلوا في عهد عبد الناصر كانوا من الأهرام وأنا أقرب الناس له! معنى هذا أننا كنا نحاول أن نستقل.

هل تنسى أني صاحب عبارة «زائر الفجر» ومع ذلك قبض عليَّ منذ شهر واحد من زوار الفجر! أنا مؤمن بتجربة عبد الناصر وأسوأ ما في الوجود هو الايمان الأعمى! أعود وأتذكر أن ما قدمته للمهنة وزملاء المهنة كثير. . ولكن أكبر عيوبنا هو النسيان!!

في بعض الأحيان وهيكل يرد على أحد أسئلتي، أشعر أنه يكتب مقالاً. وأشعر بمنهجه في الكتابة، إنه لا يريد أن يقدمه لقارئه «لفة جاهزة»، إنما يريد أن يطرح أمامه مادة للتفكير، والمشاكل في مقالاته تبدأ بعد قراءتها لأنها تشد إلى الحوار وتحرك بحيرة العقل الراكدة!

● **كان طبيعياً أن أسأله عن دوره الآن في السياسة هل هو متفرج أم مساهم لكن صيغة السؤال ـ هكذا ـ ينقصها تقليم أظافر الجفاف فيها على أي حال حاولت وفشلت وألقيت عليه السؤال كما هو بلحمه ودمه؟**

■ قال هيكل: أعترف لك أني لست مساهماً ولست مجرد متفرج، تستطيع أن تقول أني «مراقب» أنا أتابع ما يجري أمامي بعين ومسام مفتوحة بكل الاهتمام،

لماذا؟ لأن بلدي تعنيني وهي مرة أخرى عند مفترق طرق وأنا في موقف المتابعة الصامتة حتى الآن.

● **سألت هيكل: عندي تعريف للكاتب المصري، هل توافقني عليه؟**

■ قال: هات ما عندك! قلت: الكاتب المصري هو الذي يكتب عن مصر من داخل مصر وجوهر مادته هموم مصر، قال هيكل بسرعة البرق: ماذا تريد أن تقول هات نهاية السيناريو!

● **قلت دفعة واحدة ودون توقف كقطار ديزل فوق قضبان حديدية: يا أستاذ هيكل، أنت تخاطب الآن القارىء الغربي، كلمتك موجهة إلى الوجدان الغربي!**

■ قال: أرجوك أولاً أن تقرأ أي كتاب كتبته أو أي مقال نسخته لتكتشف أن مادتي الأولى هي هموم مصر وهموم العالم العربي، لكن حينما تعجز أن تقول رأيك بحرية أمام جمهورك الأصلي وقاعدتك الحقيقية ولم تستطع أن تتكلم له، فعلى الأقل تتكلم عنه! وأنا أتصور أنه لفترة من الفترات في تاريخي، لم أستطع أن أتكلم لقارئي فصرت في العالم الخارجي أتكلم عنه!

وهذا وضع أنا لم أختره كما تعرف، لكن كان علي أن أقبل إما أن تحال مقالاتي إلى.. الرقيب، أو «أساير» ما هو مخالف لقناعتي.. وقد كان ممكناً أن أخدم النظام أكثر من غيري لو سايرت ولكن كيف أعادي قناعاتي، كان علي أن أكتب فاخترت ـ بدلاً من أن أكتب لهذا القارىء أثرت أن أكتب عنه، وفي كل ما كتبت، لم تغب عن بالي لحظة هموم الانسان المصري أو العربي بل معي «حاضرة» وسط الصفحات! لم أكتب في التجريد بل كتبت عن «الشعب المصري» وعن قضاياه.

لقد حاولت ـ وأنا أكتب في الخارج ـ ألا أمس المشاكل الداخلية لكي لا أفتح باباً يدخل منه ريح لا أستريح لها!

إن مصالح مصر الاستراتيجية وآمالها وأحلامها.. كانت «مدادي» الذي أغمس فيه قلمي حتى لو كنت بعيداً عن الوطن بالجسد!

● **قلت لهيكل: هل تسمح لي أن أوجه لك بعضاً مما يلصق باسمك دوماً أو لنقل أحياناً؟!**

■ ضحك هيكل وقال: هل ترتدي - الآن - ملابس المدعي الاشتراكي؟

● **قلت: لا.. ولكن فضولي يريد أن يحسم هذه الأشياء الصغيرة.. الكبيرة في آن واحد.**

■ قال هيكل بحنان شديد: اسأل لا تخشَ شيئاً ولا محظورات في حوارك!

● **تشجعت وقلت له: هل أثريت من كتبك**

قال بسرعة:

■ إنني أكره كلمة ثراء وأعتقد أنها توحي بمعان لا أريدها لنفسي، لكني أستطيع أن أقول لك باختصار وبصراحة أن كتبي للعالم الخارجي أعطتني ما يكفيني والحمد لله. لقد قلت مرة مستشهداً بالحكمة المشهورة أن الغنى الحقيقي هو الغنى عن سؤال الناس، وإذا كان هذا ما تقصده إذن فإن كتبي للعالم الخارجي أعطتني ما أريد دون فطنة استغلال أحد..

● **قلت لهيكل: هل أنت صديق الملوك والرؤساء؟**

■ قال: وهل هذه جريمة؟! ٧٥٪ من ساسة العالم أصدقائي والـ ٢٥٪ لم أتعرف عليهم بعد!

● **قلت له ما مدى إيمانك الديني؟**

■ قال: علاقة الإنسان بربه ليس من حق أحد أن يناقشها.

● **قلت: نعم!**

عدت أسأله: هل ستكتب في الأهرام الناس تريد أن ترضي فضولها؟

■ قال: أهم من فضول الناس، قناعتي بالكتابة، ومرة أخرى لأسباب شخصية وذاتية وعن عفة وليس عن خوف، لا أحب الحديث عن الصحافة المصرية.. فما زلت - حتى هذه اللحظة خارج حلبتها، وإذا كنت قد فقدت منصبي الصحفي، فأنا لم أفقد بعد هويتي الصحفية.

ودق جرس التليفون بجواز هيكل، دقات خافتة تستأذن في الازعاج، رد هيكل بسرعة، بحضوره الشديد.

أغلقت جهاز التسجيل، وأخذت أتأمل هيكل بالقميص الكاروهات والبلوفر البني ريثما تنتهي المكالمة!

كان قارب الحوار «يبحر» نحو الشاطىء، من حيث بدأنا، واكتشف أن ما أثاره هيكل في نفسي من أسئلة، أكثر مما أجابه!

وجدت نفسي أطرح تساؤلات وتصورات من واقع استقرائي المتواضع لهيكل عبر حوارين، امتدا إلى أكثر من ٤ ساعات!

● مثلاً: ١ ـ هل قال هيكل كل ما يريد؟

.. وأتصور أنه في وضع «المراقب» لم يقل «كل» شيء، قال.. بعض ما يريد!

● مثلاً: ٢ ـ هل كان متحفظاً في حواره؟

.. واتصور أنه أعطى «الصورة» بظلالها، الصورة التي يريد أن يعطيها للجماهير المصرية والعربية في هذه الآونة، لكنه كان مخلصاً في «التصوير».

● مثلاً: ٣ ـ هل لهيكل دور ما في المستقبل ولو كان هذا من خلال قلمه؟

.. وأتصور أن هناك له دوراً ما، ولكن طبيعة هذا الدور لم تتحدد بعد في ذهنه، ولكن هيكل سيظل «مراقباً» (بكسر القاف).. حتى اشعار آخر!

● مثلاً: ٤ ـ هل يفضل هيكل منصباً قيادياً في الصحافة المصرية؟

.. وأتصور أنه يفضل أن يكون كاتباً «غير مقيد».. لكنه ـ في الوقت الحاضر ـ يقف على تماس الحلبة.. متابعاً ما يجري بحياد تام!

● مثلاً: ٥ ـ هل يفتح هيكل الصحفي «ملفات» سابقة؟

.. واتصور أنه أسدل الستار على مشاهد مضت وان ظل شاهد اثبات على عصره.

● مثلاً: ٦ ـ هل يتخلى هيكل عن «السوق العالمية» التي عبر إليها بكتبه؟

.. واتصور أن الانسان ـ بمقاييس النجاح والطموح البديهية ـ لا يعود للخلف!

كان هيكل قد انتهى من حديثه التليفوني حين سألني: ماذا سيكون عنوان حوارنا؟

قلت دون تفكير: عمق حادث المنصة! وابتسم هيكل وقال: ظننتك ستكتب: مغزى ما جرى ذلك الخريف!

حوار مصر والعرب يجري بالإشارات والرموز

لم يأخذ منه السجن سوى ٨٩ يوماً و١١ كيلوغراماً من وزنه، ودمعتين فقط عندما علم باغتيال أنور السادات ولكن محمد حسنين هيكل يدرك في أعماقه أنه لولا مجيء الرئيس حسني مبارك الى الحكم، لكان هو والذين أمر الرئيس الراحل أنور السادات باعتقالهم، سيمضون في السجن سنوات طويلة.

الأسبوع الماضي وصل محمد حسنين هيكل إلى لندن، كان كعادته يتأجج حيوية، أما معنوياته النفسية فإنها تعتبر قلعته الحصينة التي لا تمس.

مجلة الحوادث اللبنانية - ٥/ ٣/ ١٩٨٢ - هدى الحسيني

خلال لقائي معه، تذكر الماضي القريب. كانت الساعة حوالي الثانية بعد منتصف الليل عندما قرع «زوار الفجر» منزله في الإسكندرية، ومن خلف الباب قال لهم ابنه أحمد، «تعالوا في الصباح فأبي نائم». اعتقد أحمد أن الأمر بهذه البساطة، هم أصروا، فاستيقظ هيكل وفتح الباب ليجد اثنين من رجال الأمن يطلبان منه المجيء معهما. كانت ردة فعله الأولى: «أنا الذي تكلمت عن زوار الفجر فلماذا لا تنتظران إشراقة الشمس؟»... طلبا منه تحضير حقيبة صغيرة مع ترديدهما باستمرار أن «الحكاية بسيطة»...

صافح ابنه أحمد باليد ولم يقبله، يقول: «أردت أن أتجنب اللحظات الإنسانية الجياشة».

المفاجأة كانت تنتظره في الخارج، عندما اكتشف أن البناية التي يسكنها مطوقة من قبل رجال الشرطة المدججين بأسلحتهم الرشاشة. ولما خرج إلى الشارع وجد شاحنتين عسكريتين تسدان الطريق. هنا ازدادت المفاجأة وقال للمسؤول عن اعتقاله: «لماذا هذا العرض غير المقبول. لو اتصلتم بي هاتفياً وطلبتم حضوري ليتم اعتقالي، لأتيت فوراً، حتى لو كنت في لندن أو باريس لقطعت رحلتي ورجعت فوراً لأعتقل»...

يقول هيكل: «كنت أعرف أن الرئيس السادات لن يتركني حراً، ولكن لم أكن أتصور أن يتم اعتقالي تحت شعار «الفتنة الطائفية»...

وأسأله ألم يحدث أن التقيتما بعد رحلته إلى القدس؟» ويجيب «أبداً»... ويتذكر: «أثناء تقبل العزاء بشقيق سيد مرعي، وقف السادات يتقبل التعازي

باعتباره واحداً من أفراد العائلة، فانسحبت أنا ولم أقدم تعزيتي، لأنني لا أريد أن أصافح اليد التي صافحت بيغن». . .

أما عن السجن و«لياليه» الطويلة فيقول: «كنا عشرة في زنزانة صغيرة» والكل يعرف ما يوجد داخل الزنزانة، عند الساعة العاشرة من صباح كل يوم، كان الشرطي يفتح طاقة الزنزانة ويرمي لكل واحد برغيف خبز والقليل من العسل الأسود، ويأتي ثانية عند الساعة الثالثة بعد الظهر فيرمي برغيفي خبز وقطعة جبنة بيضاء لكل سجين. ستون يوماً عشناها في ظلام حقيقي، منقطعين عن العالم، لم نكن نعرف أي خبر حتى عن عائلاتنا. . .

«بعد رحيل السادات بأيام، وأثناء المحاكمات، يتذكر هيكل، إن فتحي رضوان استطاع أن يهرب عدداً من مجلة «الحوادث» فطلب هيكل أن يستعيرها لساعة واحدة كي يقرأ ماذا يجري في الخارج». . .

والآن، خارج السجن وخارج مصر في لندن، كان لـ «الحوادث» لقاء طويل مع هيكل، الذي تحدث «بصراحة» عن كل ما يشغل العالم العربي الآن، وهذا نص الحديث:

● **«الحوادث»: كيف ترى العالم العربي بعد ٢٥ نيسان (ابريل) المقبل، موعد الانسحاب من سيناء، يقول الجميع، لننتظر هذا التاريخ، وأنا أسألك ماذا سيحصل؟**

■ محمد حسنين هيكل: لن يحصل أي شيء. في تواريخ الأمم أو الشعوب، يقع أحياناً ما يشبه الوهم، فعندما يحتار الناس في موقف معين، ويعجزوا عن تحليله، يتعلقون بشيء «ميتافيزيقي»، شيء غير مرئي، مجهول، ويعلقون عليه كل الهموم والكسل.

العالم العربي بعد ٢٥ ابريل (نيسان) هو نفس العالم العربي قبل ٢٥ ابريل (نيسان) ولعلي واحد من الذين يقولون، إن ما سوف يحدث قبل ٢٥ أبريل (نيسان) أهم ألف مرة مما سيحدث بعد هذا التاريخ.

لماذا إسرائيل تتصور أنها تساوم بما تبقى من سيناء، وتتصور إن هذه هي الفرصة الملائمة كي تضغط إلى أبعد مدى وتأخذ كل التنازلات التي تريدها من مصر. في الحقيقة هي تريد تنازلاً واحداً أساسياً، ومن تاريخ «كامب دايفيد» حتى الآن. مطروح شيء واحد فقط على مصر: صداقة مع إسرائيل أو هوية عربية. والاثنان لا يلتقيان مع بعض، وأي واحد يقول غير هذا، فإن كلامه غير طبيعي.

مذ وجدت إسرائيل، وهي ترغب بتحييد مصر وإخراجها من المعركة. وإذا خرجت مصر ينتهي تأثير القوة البشرية العربية المؤثرة القادرة في يوم من الأيام أن تخوض صراعاً. وهدف كيسنجر من أول مرة جاء المنطقة، مثل هدف إسرائيل منذ تأسيسها، هو إخراج مصر من المعادلة العربية.

إذا حققت إسرائيل خطتها بإبعاد أكبر دولة عربية وجعل الوزن السكاني بثقله الإنساني والحضاري خارج المعادلة، يبقى عليها مواجهة جبهة واحدة. أي أنها تواجه، مع كل احترامي، مجموعة دول عربية، حتى إذا لم تكن شظايا فهي قابلة سواء بالخلافات الطائفية أو المذهبية أو الجغرافية أن تنقسم وتتفتت وتصبح مجموعة من الكيانات، سهل ابتلاعها من غير مشكلة.

وما يحدث في لبنان هو نموذج لهذا الواقع (. . .) وقد حدث هذا بعد أن تأكدت إسرائيل أنها تواجه جبهة من جهة واحدة. وأنا أعتقد أن الخطأ السياسي للرئيس أنور السادات، لم يكن مجرد «كامب دايفيد»، ولم يكن في ذهابه إلى إسرائيل. فقد بدأ الخطأ منذ فك الارتباط الأول المنفرد، لأنه عندما حدث فك الارتباط المنفرد على الجبهة المصرية ـ الإسرائيلية في ديسمبر ويناير وفبراير (كانون الأول وكانون الثاني وشباط) من سنة ١٩٧٣ و١٩٧٤، بدأت إسرائيل تدرك أنه بقي عندها جبهة واحدة، ، لأنه وقع أمران في تلك الفترة، إذ قرر الرئيس السادات أولاً: أن ينفرد وحده بعمل سياسي. ثانياً: عندما قرر أن أميركا هي القوة الوحيدة من خارج المنطقة، التي تستطيع القيام بدور.

بهذا، خرجت مصر من المعركة، وبالتالي خرج الاتحاد السوفياتي، أي السلاح السوفياتي، أي السلاح الوحيد القادر على مواجهة إسرائيل في يوم من الأيام(. . .)

إذن، الذي حصل كان كما ذكرت أن انفرد أنور السادات بعمل سياسي. ثانياً: اختار أميركا وحدها. ثالثاً: أخرج الاتحاد السوفياتي بأسلحته.. وكل هذه العوامل مجتمعة أدت إلى فك الارتباط الثاني على الجبهة المصرية، وأدت إلى قضايا أخرى، كانت نهايتها أن ذهب إلى القدس.

قبل القدس كان هناك اجتماع ثنائي سري عند تشاوشيسكو في بوخارست، واحتمال اجتماع ثنائي سري في المغرب. حيث اجتمع موشيه دايان وحسن التهامي. ولكن، اختيار السادات الذهاب إلى القدس مباشرة جاء من ضمن لعبة الإخراج والإحساس المسرحي الموجود عند السادات (. . .) لكن سواء ذهب إلى القدس أو إلى بوخارست، فإن فك الارتباط الأول هو الذي أدّى إلى صلح منفرد، بصرف النظر أين تم توقيعه وكيف؟

نأتي إلى ما تتحدثين عنه. أمامنا هذا التاريخ ٢٥ ابريل (نيسان)، وكأن كل العفاريت والأشباح ستظهر في ذلك اليوم... لن يحدث شيء في ذلك التاريخ. إن كل قلقي من الآن وحتى ذلك التاريخ يكمن في أن إسرائيل تتصور أنها مقابل هذا الجزء من سيناء تريد أن تبتز من مصر كل ما يمكن ابتزازه، وتضع أمام مصر خياراً واحداً من اثنين: نحن أي إسرائيل، أو العودة إلى الأمة العربية، ولا توجد وسيلة للتوفيق بين الاثنين، لأن العالم العربي لن يأتي إلى مصر وإسرائيل موجودة بهذا الشكل، ولا مصر قادرة على الذهاب إلى العالم العربي إذا كانت ستثقل نفسها بضمانات.

على كل، ربنا يساعد الرئيس حسني مبارك والمجموعة التي معه، كي يديروا هذا الموقف الصعب من الآن حتى أبريل (نيسان).

وأنا قلت لكل الناس، لكل من سألني، من اللورد كارينغتون إلى كل الصحافيين، قلت: «ليس عندي شك، إذا خيرت إسرائيل مصر بينها وبين العرب، فاختيار مصر التاريخي، وبصرف النظر عن أي شخص في الدنيا، هو اختيار عربي ولا يمكن أن يكون غير ذلك.

● «الحوادث»: إذن لن تنسحب إسرائيل؟

■ محمد حسنين هيكل: إذا أردت رأيي أنا شخصياً، أقول لك، القضية ليست قضية بقعة من أرض، بالطبع، أنا أتمنى وأريد أن يتم الانسحاب، ولا بد أن كل عربي حريص على دور مصر، الذي هو دور أساسي وحيوي، من مساعدة هذا الرجل (حسني مبارك) كي يسير في هذا الاختبار ـ لأن هذا الاختبار وليس اختياراً ـ إلى مداه، ويأخذ الأرض. ولكن إذا كانت المسألة المطروحة هوية مصر ووجودها وأمنها أو هذه البقعة من سيناء، فأنا بقدر ما أريد بقعة الأرض وبقدر حرصي على التراب الكامل، أقول لا يمكن لمصر أن تسترجع بقعة أرض وتضحي بهويتها ومستقبلها، هذا رأيي الشخصي. .

● «الحوادث»: وكيف ستعود مصر مع كل الشروط والضمانات الإسرائيلية، هل هناك إمكانية لعودة مصر إلى العرب؟

● محمد حسنين هيكل: أولاً ليست هناك إمكانية لعزلة مصر عن العرب. . .

● «الحوادث»: ولكن انفراد السادات بعقد حلف مع إسرائيل؟

■ محمد حسنين هيكل: أنور السادات استغل لحظة معينة أسميها أنا باستمرار / Metal Fatigue (تعب المعادن) أحياناً تقع الطائرات من دون سبب. . . في مصر، حصل تعب المعادن هذا فوجد أنور السادات فرصة ملائمة بعد حرب أكتوبر (تشرين الأول) وضمن أحلام أنه حصل انتصار استراتيجي، وضمن أوهام السلام، وخلال فترة تعب وإرهاق عند الشعب المصري على أساس: السلام ومن ثم الرخاء. وتم استغلال بعض النزعات المحلية والإقليمية، الموجودة عند كل بلد عربي، لتزكية الفرقة. لكن أنا أعتقد أن هذا أيضاً أدى إلى نتيجة إيجابية.

في حياتي، لم أر الشعب المصري على المستوى العادي، مدركاً لقيمة وحقيقة عروبته كما هو الآن، وهذا ليس مجرد كلام. . .

أسألك، لماذا يرفض المصريون التطبيع؟ يقول المصري: لا، لن أذهب إلى

إسرائيل. لقد استغلت لحظة اختلاط الألوان بالنسبة إلى الشعب المصري، فعقد هذا الشعب معاهدة سلام في المطلق. ولكن الإنسان المصري، رفض الذهاب إلى إسرائيل رغم كل محاولات التطبيع التي قامت بها حكومة الرئيس السادات. ومحاولة استغلال السادات إقليمية مصر، أدت إلى جعل عروبتها تتأكد على مستوى الشارع. الآن في مصر يدور حوار حول هوية مصر وهذا ما عجزنا عن القيام به في السابق. لقد فرض عبد الناصر اختيارات كثيرة على مصر، وقد تكون هي الاختيارات التاريخية الصحيحة ومنها عروبة مصر. لكنه فرضها ومشى، ولم تتعمق على مستوى الشعب العادي لأنها لم تناقش. اليوم ولأول مرة هناك نقاش حول هوية مصر.

● **«الحوادث»: نعود إلى كيفية تصورك لعودة مصر إلى العرب مع تركة «كامب دايفيد»؟**

■ محمد حسنين هيكل: هناك حاجتان في السياسة، ما أريده وما يريده أي طرف، وخططه لتحقيق ما يريد.

تقولين، هناك معاهدة «كامب دايفيد»، وتاريخ ٢٥ أبريل (نيسان)، والجزء المرتهن من سيناء، طيب على عيني ورأسي، لكن هناك الجغرافيا والتاريخ والشعب المصري وأمنه ومصالحه ومطالبه. وأسألك أيضاً: لماذا حصل لأنور السادات ما حصل؟ ضمن أية خطة جاء هذا الاغتيال؟

هل قرأت ما قاله الجنرال هيغ في اجتماعاته السرية؟ بدأ منذ فترة يشعر بالقلق رغم أن الرئيس مبارك لم يلفظ أية كلمة تبعث الشكوك عند الأميركيين بأنه يريد تغيير أي شيء، وهو ينوي هذا... لكن الأميركيين صاروا يقيسون الأمور بمواقف يمكن أن تحصل.. أنا أقول، لو لم يحصل ما حصل لأنور السادات، لكان واجه ثورة شعبية على مستوى الشارع، بانفجار ضخم جداً في مصر في نهاية السنة. لكن، الحوادث، والتفاعلات المتأججة هي التي دفعت أشخاصاً على مستوى أفراد لإطلاق النار عليه... وإلا، كان واجه بعد إبريل (نيسان) موقفاً متفجراً.

حقائق الموقف الاجتماعي والفكري في مصر، حقائق الإحساس بالهوية

والانتماء، وحقائق التاريخ والجغرافيا هي التي تفرض إرادتها، خططي كما تريدين، إنما خذي هذه القاعدة: ليست هناك سياسة خارج التاريخ، غير ممكن. . . ثم لا يوجد شيء اسمه السياسة الداخلية لأي بلد خارج تطوره السياسي والاجتماعي، وليست هناك من سياسة خارجية خارج موازين القوى التي تصنعها حقائق الجغرافيا والتاريخ. لا يستطيع أحد الكلام كما يشاء، أو كما فعل أنور السادات، أن يعمل ضد التاريخ، لأنه ينتهي بمأساة، هناك ما هو أقوى. . .

● **« الحوادث »: إذن، حسني مبارك مضطر للعودة بمصر إلى الدول العربية؟**

■ محمد حسنين هيكل: لا أريد أن أقول إنه مضطر. أنا أريد القول، إن مصر لا تستطيع كما لا يستطيع أحد أن يهرب من قدره. وقدر مصر عربي، وأتمنى أن يكون اختياره، متفقاً مع التاريخ والجغرافيا، لأنهما الأساس. أول ما نعلم أولادنا: أين هم، ومن هم؟

● **« الحوادث »: حتى الآن ما زلت تؤكد أن مصر جزء لا يتجزأ من العالم العربي، وحصل أنك طالبت بعودة الجامعة العربية من تونس إلى مصر. . .**

■ محمد حسنين هيكل: أنا لم أطالب بهذا. بالعكس، أنا كنت واحداً من المتفهمين تماماً، أنه مع، «كامب دايفيد» لا يمكن بقاء الجامعة العربية في مصر. إنها مسألة بمنتهى الصعوبة، وبالتالي لم أطالب بهذا أبداً. وأنا أدرك أنه لا يمكن في ظل ما فعله الرئيس أنور السادات، لا يمكن أن يطرح موضوع عودة العرب أو عودة مصر. وهذا، لا أقوم به أنا. . . إنما، الرئيس حسني مبارك تصرف تصرفاً مهماً جداً كما أعتقد. . . ومع الأسف لم تنتبهوا لذلك التصرف العربي.

أنا واحد من الذين يقولون إن هناك حواراً صامتاً وبالرموز بين مصر وبين بقية العالم العربي. الطرفان لا يتكلمان في هذا الحوار. . . على سبيل المثال، كانت مصر قد حشدت فرقتين على الحدود الليبية، فأمر حسني مبارك بسحبهما، والنتيجة، صار الليبيون يتكلمون لغة مختلفة.

قام الرئيس السادات بعمل غريب، وهو «جامعة الشعوب الإسلامية والعربية» وأعطاها مبنى الجامعة العربية. أصدر حسني مبارك قراراً، من أهم القرارات في اعتقادي، قال للمخلوق الهزيل الأبله هذا، جامعة الشعوب الإسلامية والعربية، أخرجوا من مبنى الجامعة العربية، هذا ليس لكم... ابحثوا عن مبنى آخر. هذا مبنى الجامعة العربية. وكل قضايا الجامعة العربية فيه. ليس هذا فقط، بل صار مسموحاً للجامعة العربية في تونس، أن تطلع على أرشيفها في مبنى القاهرة، وترسل أشخاصاً يطلعون على الملفات... هذا تطور في منتهى الأهمية.

الحاجة الغريبة، أن الإسرائيليين تنبهوا لهذا القرار، ولكن العالم العربي لم يتنبه بأن هذا كان جزءاً من الحديث بلغة الإشارة.

وأكمل هيكل:

قد تكون الظروف هي التي تمنعنا من الدخول في حوار مفتوح. لا نحن، أقصد النظام، قادر على الكلام مع الفلسطينيين، أو مع السعوديين بوضوح، أو مع العراقيين بوضوح. لكن، بسبب العجز عن الكلام، صار هناك لغة جديدة في العالم العربي وهي لغة البكم. بمعنى أن تعملي بالإشارات حاجات يفهمها الآخرون ويرسلون الجواب. لكن هناك مشكلة أن أطرافاً أخرى تراقب هذه اللغة. أنا أعتقد أن حواراً دائراً اليوم بين مصر والدول العربية. إنما حوار البكم بالإشارة.

● **«الحوادث»: ذكرت أن معك رسالة من ياسر عرفات؟**

■ محمد حسنين هيكل: أولاً، لم أقل هذا... أنا لم أذكر اسم حسني مبارك. هذا نص حديثي في «الصانداي تايمس».. بعض الصحف العربية أساءت الترجمة. أنا قلت، لدي رسالة. تقول هذ الرسالة إن منظمة التحرير الفلسطينية مستعدة للقيام بأي عمل لتسهيل عودة مصر إلى الدول العربية. إذن، أنا أقول، هناك رسالة من أبو عمار ومن زعماء عرب آخرين... كلهم يقولون إنهم على استعداد للقيام بأي شيء.

● **«الحوادث»: هل تسلمت هذه الرسالة أنت شخصياً؟**

■ محمد حسنين هيكل: أنا لا أدخل في التفاصيل... وكما تعرفين، أنا

أتحاشى أن أقول كلاماً غير مسؤول. أنا لست في منصب، لكن أحاول أن أبقى باستمرار رجلاً نافعاً في إطار قناعاتي.

أقول: في علمي، أو عندي، ما يدعوني أن أؤكد أن أبو عمار والملك حسين والرئيس صدام حسين وأكثر من طرف عربي، كلهم على استعداد للقيام بأي شيء في نطاق الممكن لتسهيل عودة مصر إلى العالم العربي. لأن كل مسؤول في العالم العربي يدرك تماماً أنه بدون عودة مصر إلى وضعها الطبيعي والعربي فإنه لا أمل.

أنا عندي أكثر من هذا. عندي أن صدام حسين يقول: إن العراق لا يطمح ولا يريد أن يرث دور مصر، وأن دور مصر لا يملأه إلا وجود مصر وحركة مصر، وأنه هو والعراق مستعد للقيام بأي شيء في نطاق المبادىء لتسهيل عودة مصر إلى العالم العربي.

صدام حسين يقول هذا، وأبو عمار أيضاً، والملك حسين. وأنا أعلم أن السعوديين يقولون أكثر من هذا...

● **«الحوادث»: يعني أنك متفائل برغبة العرب بالنسبة إلى عودة مصر إلى الأمة العربية؟**

■ محمد حسنين هيكل: أنا أتصور أن الرغبة موجودة لدى الطرفين. أنا أتصور أن العالم العربي يتوق لعودة مصر إليه، كما أن مصر تتوق أن يعود العالم العربي إليها، وأن ترجع هي إليه. ولكن تبقى عندنا قضية كيف يحدث هذا؟

● **«الحوادث»: وكيف سيحدث هذا؟**

■ محمد حسنين هيكل: لم تعد المشكلة من سيبدأ الخطوة الأولى، لأن هذه الخطوة بنظري قد بدأت فعلاً بالحوار الأخرس. لو جاز لي أن أتصور، فأستطيع أن أتصور هذا الحوار سيأخذ شكل اتصالات:

أولاً، الفترة من الآن حتى إبريل (نيسان) هي المهمة، وتتوقف عليها أمور كثيرة. وأنا أعتقد أن هذه الفترة بالنسبة إلى الرئيس مبارك، قد تكون الأصعب

خلال رئاسته كلها. لأن عليه إدارة أزمة معقدة جداً، لا دخل له فيها، «ربنا يكون في عونه»، بحيث يستطيع أن يخرج منها دون أن يفرض عليه أحد ما لا يريد. أتصور، أنه مترتب على ما سوف يحدث من الآن وحتى إبريل (نيسان) وما بعد إبريل (نيسان)، بفترة أن تبدأ اتصالات.. ولا أستبعد أن تكون الاتصالات قد بدأت فعلاً...

لقد اتخذ مبارك موقفين واضحين جداً، وعبر عنهما ضمن الحوار غير المباشر، وليس الحوار الأخرس. قال: أنا لا أتكلم باسم الفلسطينيين، ولن أوقع ورقة فيما يتعلق بالحكم الذاتي فيها موضوع الفلسطينيين. وإذا أرادت إسرائيل أن تتكلم في موضوع الحكم الذاتي وتطلب أي شيء، حتى إعلان المبادىء، فلتذهب إلى الفلسطينيين.

سأخبرك حكاية، أخبرني إياها سناتور أميركي كان حاضراً الاجتماع الذي عقده حسني مبارك في مجلس الشيوخ مع مجموعة شيوخ، كانوا يكلمونه عن الحكم الذاتي فقال لهم: أنا لا أستطيع أن أفعل شيئاً في هذا الأمر، ووجه كلامه إلى أحد الشيوخ قائلاً: هل أستطيع أنا أن آخذ البدلة التي ترتديها أنت الآن، وأعطيها للسيناتور تشارلز بيرسي، رئيس لجنة الشؤون الخارجية؟ فأجابه: تستطيع إذا وافق هو.. عندها قال له حسني مبارك: عال... في هذه الحالة، البدلة يرتديها الفلسطينيون. اذهبوا واسألوا الفلسطينيين إذا كانوا يوافقون. فإذا أعطوكم البدلة فهم أحراراً... أما أنا فلن أوقع. وهذه مسألة مهمة جداً...

ثانياً: قال حسني مبارك، أنا لن أعطي قواعد. وهذه أيضاً مسألة مهمة جداً...

● **«الحوادث»: نعود إلى حسني مبارك الذي رفض التوقيع عن الفلسطينيين ورفض إعطاء القواعد.**

■ محمد حسنين هيكل: هذا جزء من الحوار الساكت... أنت مهتمة بالعودة، وأنا أتصور أن طريق العودة حصل، أو أنه يحصل.

أولاً: ثبت أن كل مغامرات «كامب دايفيد» لم تؤد ولا يمكن أن تؤدي منذ بدايتها حتى الآن إلا إلى صلح منفرد مع إسرائيل، وقد حدث.

ثانياً: الشعب المصري يرفض هذا الصلح، ويرفض نتائجه، ومن أبرزها التطبيع. صحيح أنه يريد استرجاع بقعة أرض، لكنه ليس مستعداً لما هو أكثر.

ثالثاً: لا يتكلم الرئيس حسني مبارك باسم الفلسطينيين، وهو واضح جداً في هذه الناحية.

إذن، كل عملية «كامب دايفيد» لن تؤدي إلا إلى شيء يعجز عن القيام بأي عمل. وأنا أعتقد أن «كامب دايفيد» سقط. أي أن بديل انتماء مصر العربي سقط وأكد، حتى عن طريقة نفي النفي، انتماء مصر العربي. ثم بدأ حوار بالإشارة بدون صوت. . وفي بعض الأحيان حصل حوار مسموع: «أنا لن أوقع شيء بالنيابة عن الفلسطينيين». «أنا لن أعطي قواعد لأميركا كي تهدد أية دولة». ويجب أن نلاحظ أمراً مهماً آخر، ما هو معنى التشكك الأميركي الذي ظهر عند هيغ والإسرائيليين بالنسبة إلى الوضع الجديد في مصر، هذا يعني ببساطة، أنه إذا كان أحدهم نسي حقائق الجغرافيا والتاريخ وسار شوطاً أكثر من الاحتمال، فقد جاء رجل جديد، وقد تفرض حقائق الجغرافيا والتاريخ نفسها أمامه، وقد يأخذ خيارات مختلفة. مع العلم أن مبارك قال «أنا أسير في خط السادات». وفي بعض التصرفات فإنه ينفذ ذلك الخط. إذن، لماذا التخوف؟ للتخوف سببان، إما أنك ترين شواهد لأمر بدأ يقع، أو أن عندك مخاوف إمكانية حصول شيء، فتحذرين منه مبكراً. وكلا الحالتين جديرتين بأن تلتفت الأمة العربية إليهما.

ويستطرد هيكل قائلاً:

أريد أن أقول أكثر من هذا. السعودية لم تضغط بالشكل الكافي في مؤتمر فاس كي تحضر كل الأطراف العربية، وكان باستطاعتها أن تضغط وكان بإمكان السوريين المشاركة، لولا أن السعودية رأت وضعاً جديداً في المنطقة منه: أولاً، أن مصر ممكن أن تلعب دوراً في المستقبل القريب. وثانياً، لو قبلت مبادرة الأمير فهد، وتحولت إلى مشروع عربي وافق عليه كل العرب، فستصبح السعودية

مسؤولة عنه، وتدخل بسببه في مواجهة مع الأميركيين. ففضلوا الانتظار، لأن هذه مرحلة متغيرات في المنطقة. وأنا مستعد أن أراهن أن مشروع فهد لن ينبعث مرة أخرى، ولن يعقد مؤتمر قمة عربي آخر، إلا بعد شهر نيسان (ابريل)، لأن الكل يدرك أن متغيرات كثيرة تحصل منذ فترة، والآن، وحتى ابريل (نيسان). . .

● **« الحوادث »: مع تركيزك على ما سيحصل من الآن وحتى موعد الانسحاب، هل تعتقد بإمكانية عمل عسكري تقوم به إسرائيل؟**

■ محمد حسنين هيكل: أريد أن أقول لك أمراً: منذ فترة طويلة قلت كلاماً سمعه كثيرون، لم ينشر. قلت إن إسرائيل لن تخرج مما بقي من سيناء، حتى لو كان السادات حياً. . فإن إسرائيل كانت ستضع أمامه أمرين: أن يوقع اتفاقية حكم ذاتي كما تريده إسرائيل، أي أن يتنازل في القضية الفلسطينية بأكثر مما يملك، المهم أن يوقع. أو أن إسرائيل ستتخذ على الأرض وعلى الطبيعة مجموعة إجراءات عملية تجعل منها أمراً واقعاً، وعليه أن يوقع اتفاق الانسحاب النهائي في ظل هذا الأمر الواقع، كي لا يستطيع القول فيما بعد، أن لا دخل له، أو أن ما حصل، حصل بدون علمه أو رغبته.

إذن، ليس صدفة ما حصل. أولاً ضم الجولان. وأنا أضيف أن ضم الضفة الغربية وقطاع غزة يجري فعلاً، ولا أستبعد مجموعة من الإجراءات القانونية والفعلية في الضفة والقطاع، بالإضافة إلى الاستيلاء على الأراضي. ولا أستبعد قيام إسرائيل بعملية عسكرية في لبنان، مع معرفتي بأنه منذ أربعة أسابيع، كانت هذه العملية على وشك أن تبدأ، والإسرائيليون متشجعون برد الفعل الضعيف والمتهالك الذي حصل بعد الجولان. . . وعلى أي حال، هذه فرصة ذهبية لبيغن كي يحقق كل طموحات إسرائيل.

أمس، قابلت دايفيد أوين وزير خارجية إنكلترا السابق، كان منذ أسابيع يلقي محاضرة عن «بلفور» في إسرائيل، قال لي إن الملفت للنظر أن الجيل الجديد من الشباب الإسرائيلي يرفض الانسحاب من كل سيناء.

أنا أقول، إن حزب العمل الإسرائيلي، وكان البعض يعلق عليه آمالاً، لم يعد

له قيمة حتى في اتحاد النقابات. . . يبقى في إسرائيل، المتصلبون واليهود المتعصبون الذين يسيرون خلف بيغن، لأن حلم بيغن تحقيق إسرائيل الكبرى. . . ومن سيقاومه؟

كنا نتصور أن ينشأ حلف بديل سوري - عراقي يواجه غياب مصر. . . لم يحصل. العراق انشغل في الحرب العراقية الإيرانية. سوريا مأخوذة بمشاكل ظروفها، بوجودها في لبنان، وبالصراعات الداخلية فيها، ومصر بعيدة. . . ممن إذن يخاف بيغن؟ من يمنعه من أن يضم؟ الأميركيون لن يمنعونه. ولا نظام أميركي وحتى هذه اللحظة، مع الأسف لا أستطيع أن أذكر تفاصيل، لكن لو دخلتها ممكن أن يغمى عليك، من معرفة حجم ما تستطيع أميركا القيام به في الظروف الراهنة، وأسوأ ما فيها أنها لا تستطيع القيام بشيء، ولا يوجد أي ضغط عربي عليها، ولا توجد حقائق لموقف عربي تفرض عليها شيئاً. . .

مع الأسف الشديد، تستطيع إسرائيل أن تنفذ ما تريده في الضفة والقطاع، وتضع العالم العربي أمام الأمر الواقع.

● **« الحوادث »: لو نفذت إسرائيل هذه الإجراءات، ماذا سيفعل حسني مبارك؟**

■ محمد حسنين هيكل: لماذا تسألين فقط عن حسني مبارك؟ لماذا لا تسألين عما سيفعل مبارك وباقي العالم العربي؟ التحدي مطروح على العالم العربي كله، لا أستطيع القول ماذا سيفعل حسني مبارك أسألك، ماذا سيفعل الأمير فهد، أو الرئيس حافظ الأسد، ماذا سيفعل الملك حسين أو ياسر عرفات؟

اسمعي. . . أنا استشهدت مرتين أو ثلاثاً بكلام قاله لي شو إن لاي في مقابلة أجريتها معه وكانت الأخيرة، بعدها مرض ومات.

ذلك الرجل الحكيم الصيني الرائع، كان في التاسعة والسبعين من عمره، سألته كيف ترى الفترة المقبلة، فقال: «تحالفات جديدة تظهر، تحالفات قديمة تسقط، وفوضى في كل مكان». وأنا، أرى أن أكثر منطقة تحصل فيها هذه الأمور، هي الشرق الأوسط لكونها مركز الثقل في العالم فعلاً. . . أدت ظروف إلى سقوط

التحالفات القديمة، سقط التحالف الثوري وحل مكانه تحالف مالي، اقتصادي، بترولي، صار هو المسيطر. تصورات العالم العربي التي كانت في الجامعة العربية، صارت على الهامش. وما بقي في أحسن الأوضاع، مجموعة الكيانات الاقليمية الصغيرة، منطقة الهلال الخصيب، شبه الجزيرة العربية، وادي النيل والمغرب العربي.

المغرب العربي، مشغول بالتناقض الجزائري ـ المغربي، الهلال الخصيب مشغول بالتناقص العراقي ـ السوري، ما بقي: الخليج، يسير فريداً، ووادي النيل، كما ترينه ساعة يأتي جعفر نميري ليقابل حسني مبارك وساعة يذهب مسؤولون مصريون إلى السودان...

إذن، سقطت التحالفات القديمة، برزت تحالفات جديدة هشة، وفوضى في كل مكان، لأن دور مصر غاب.

كان لمصر دوران في العالم العربي: الأول، دور الموحد، وليس بالمعنى السياسي، فقط والثاني، دور المجدد، الذي يعلم ويثقف... بغياب هذين الدورين، وقفت حركة الدوران العربي السريع، عدنا إلى الكيانات الإقليمية الصغيرة المحكومة بالتناقضات الداخلية...

● **«الحوادث»: لكن أنور السادات انفرد بمصر وعزلها عن العالم العربي؟**

■ محمد حسنين هيكل: حتى عزل مصر لم يأت هكذا. وإنصافاً لأنور السادات، أريد أن أقول، إنه حصل تقصير في العالم العربي في فهم دور مصر، وفي تقدير دور مصر...

وفي وقت من الأوقات، كان جمال عبد الناصر يطلب أربعين مليون جنيه للقليل من الأسلحة البحرية، قوارب طوربيد، لم يجد دولة عربية تقدم له هذا المبلغ.

تعرفين أين يكمن التقصير العربي بحق مصر. لقد تصرفوا مع مصر كما تصرفت

أميركا معهم. أخذوا مصر كقضية مسلم بها. يعني، مصر تحمل كل المسؤولية. في أحد الأيام قال لي حافظ الأسد، أمراً كنت أعرفه، وهو أكده لي. قال: «والله، عندما جاءني خبر وفاة الرئيس عبد الناصر، قلت يا إخوان نحن في مأزق. لأنه كان هناك رجل في ذلك الجزء من العالم العربي، ننتظر دائماً ماذا سيفعل... فكنا نلقي عليه كل شيء»...

ألقى العرب على مصر كل الهموم العربية، وهذا حق، لكن إذا كان علي تحمل كل الهموم، فلا بد أن تشاركوا معي في تحمل المسؤوليات..

أنا آسف أن أقول أنه بدا مع سنة ١٩٦٧ كما لو كانت هناك دول عربية متشفية بأن مصر تعبت في المعركة. ألم يحصل هذا؟

بدا، أن كل ما كانت الدول العربية على استعداد لتقديمه لمصر، ما يجعلها لا تغرق ولا تعوم، أي أن تتخبط..

وقعت أخطاء لكن، جاءت لمصر الفرصة بعد «كامب دايفيد» أن تتحقق من هويتها العربية، وتحقق العالم العربي من أهمية وجود مصر فيه، وقد أدرك الطرفان بالتجربة العملية أنها شركة حقيقية، شركة أمن ومسؤوليات.

● **«الحـوادث»: لو سألك الرئيس مبارك رأيك برحلته إلى إسرائيل. بماذا كنت تنصحه؟**

■ محمد حسنين هيكل: خيار صعب، لو سألني سأتمنى بقلبي أن لا يذهب. لكن لو ذهب فإنني بعقلي لن أزعل. لسبب واحد، إن هذه الزيارة لن تضيف ولن تأخذ، ولكن، أنا أريد أيضاً أن يصل إلى رهان «كامب دايفيد» إلى مداه، كي يرجع جميع الناس بما لا يقبل الشك، نتائجه.

أنا أتمنى، أن لا يذهب أي مصري إلى إسرائيل، لكنني لن أعارض الرئيس إذا ذهب، وذلك كي لا يعطي أي مبرر لاستفزاز. وأنا واحد من الناس الذين يعطون مبارك كل فرصة. طالما قال لي ولكل الناس إنه لن يوقع أي شيء عن الفلسطينيين، ولن يمنح قواعد لا للأميركيين ولا للإسرائيليين...

● «الحوادث»: ما دامت إسرائيل كما ذكرت تضم الضفة الغربية وقطاع غزة، وما دام الرئيس مبارك أكد أنه لن يوقع عن الفلسطينيين، فلماذا باعتقادك إصرار إسرائيل كي توقع مصر على محادثات الحكم الذاتي؟

■ محمد حسنين هيكل: لأن المطلوب هو خروج مصر من أية مسؤولية في المشرق. . . لأنه، إذا لم توقع مصر، فهذا يعني أنها مرتبطة بالذي يجري، وبالتالي، فإن حركة ما يحدث في المشرق سيجر مصر إلى أمر معين. . .

سأقول لك ما قاله كيسنجر في أول مرة ونحن نتكلم عن الأرض المصرية، قال ببساطة: «ستأخذون من إسرائيل من الأراضي المصرية، بمقدار ما تتركون لها من الأراضي الفلسطينية».

ودارت بيننا خناقات شديدة للغاية. قلت له: ما دخل مصر؟. . وما ذنب الشعب الفلسطيني الذي فرض عليه أن يدفع ثمن الاضطهاد النازي لليهود، وفرض عليه أن يدفع ثمن العالم العربي الممزق؟ ثم تأتي مصر وتقول سآخذ من أرضي في سيناء، بحجم المساحة التي سأتركها من الضفة والقطاع؟! ما هذا؟ اسمعي . . . إسرائيل تريد من مصر أن توقع على اتفاقية حكم ذاتي أو على إعلان المبادىء قبل الانسحاب، وتريد من مصر أن تواصل مفاوضات الحكم الذاتي كما تريدها من إسرائيل. لا بل، حتى وأنا هنا في لندن، كذا طرف من الأطراف الدولية، لن أذكر أسماء، حاولوا أن يقولوا لي: لماذا الاختلاف؟. أكملوا مفاوضات الحكم الذاتي بعد أبريل (نيسان) لغاية ما تنشأ ظروف في المستقبل تغير في الأمر. إنما دعوا المفاوضات مستمرة. . . لماذا؟ وكيف أفعل هذا؟

● «الحوادث»: هناك مجموعة في إدارة ريغان تطرح نرية: «فلسطين البديلة» أي الأردن، وهناك من يقول أن حل القضية الفلسطينية سيكون إما على حساب الأردن أو لبنان، فماذا تقول أنت؟

■ محمد حسنين هيكل: هذا ما يطرحه شارون أيضاً. . أنه طرح بلا مستقبل. . . وهو يجرنا إلى المأزق التاريخي الإسرائيلي. أولاً: لا يوجد عند إسرائيل سكان تقيمهم في كل هذه الأرض. ثانياً: لن تقبل إسرائيل بحاجة اسمها

فلسطين حتى في شرق الأردن.

انظري بين الشعب الفلسطيني وهذه المجموعة من المهاجرين تناقض حياة. لا يستطيع الفريقان العيش مع بعض، لأنهما يتنازعان على نفس القصة. وجود أي واحد فيهم نفي الآخر. وهذا هو مأزق إسرائيل التاريخي ومأزقنا أيضاً.

● **«الحـوادث»: الناس يشبهون حسني مبارك بجمال عبد الناصر، هل هذا صحيح؟**

■ محمد حسنين هيكل: من ناحية الاستقامة والتوازن هذا صحيح. لكن، طبعاً أمام حسني مبارك فترة اختبار طويلة. ولكن، في المرات التي رأيته فيها كنت أمام رجل لا يحاول أن يمثل أمراً غير موجود فيه، إذ كان يملك هذه الصفة، وإذا أدرك دوافع التاريخ، فأنا مطمئن، وفي هذا سيلتقي بعبد الناصر، مع العلم أن تكون ممارساته لحقائق التاريخ والجغرافيا طبقاً للمتغيرات الحاصلة في العالم وفي المنطقة حوله.

● **«الحوادث»: وهل أنت على اتصال مستمر معه؟**

■ محمد حسنين هيكل: لا، قابلته أكثر من مرة، ولا أستطيع أن أسمي هذا اتصالاً...

● **«الحوادث»: وماذا تفعل في لندن؟**

■ محمد حسنين هيكل: اتفقت مع ناشري كتبي، اندريه دوتش وجماعته، على كتاب: اغتيال السادات «خريف الغضب في مصر» وكتاب عن قصة حياة جمال عبد الناصر.. والغريب أنهم طلبوا مني كتاباً عن السويس، لأنها كما قالوا لم ترو من وجهة نظر عربية.

ما هو دور كيسنجر في اغتيال السادات؟

في عصر عبد الناصر كان رئيس تحرير «الأهرام»، والناطق الرسمي وغير الرسمي - وفقاً للظروف - باسم هذه الحقبة المثيرة للجدل من تاريخ مصر. في عصر السادات اكتسب لقب رئيس تحرير «الأهرام» سابقاً. ومع هذا اللقب اكتسب شيئاً جديداً هو أنه أصبح أكثر الصحافيين العرب شهرة في العالم. مقالاته تنتشر في كبريات صحف الغرب ومنها خصوصاً «التايمز» و «الصنداي تايمز» اللندنيتين و «النيويورك تايمز» الأميركية. كتبه تترجم إلى عشرات اللغات. لأنه هيكل، صديق عبد الناصر ورفيق تلك المرحلة الغنية. واكتسب، بسبب ذلك كله، وخصوصاً بسبب شهرته العالمية، عداء السادات. فكانت هذه الشهرة هي السبب الحقيقي الضمني لاعتقاله، مع كل قيادات مصر تقريباً، في ايلول (سبتمبر) ١٩٨١.

في عصر حسني مبارك ماذا يريد هيكل؟ عيناه تبرقان وتتكلمان أكثر مما تنبس شفتاه. هيكل لا يريد أي دور رسمي، بل يريد الاكتفاء بدوره هو: دور الكاتب العميق الثقافة، والصحافي الواسع الاطلاع، الذكي، المراقب الواعي للأحداث - أحداث مصر والمنطقة والعالم وهي المترابطة بعضها ببعض - والمهووس بالتاريخ الذي يعتبره هو «حركة مستمرة وليس مؤامرة مستمرة».

منذ الافراج عنه في تشرين الثاني (نوفمبر) الماضي، أدلى هيكل بعشرات المقابلات والأحاديث إلى الصحف والمجلات العربية والعالمية. وحين التقيناه قبل أيام في فندق «كلاريدج» في لندن، أردنا إجراء حديث معه «مختلف» عن الأحاديث السابقة. وكانت حصيلة هذه الرغبة حديثاً هو الأكثر جرأة وخطورة حتى الآن.

● مجلة «المجلة» ٢٦/٣/١٩٨٢ - عبد الكريم أبو النصر

وهذا هو الحوار مع محمد حسنين هيكل:

● السؤال الكبير المطروح الآن: كيف تعود مصر إلى العرب؟ ومتى تعود؟ وهل يتحرك الرئيس حسني مبارك في هذا الاتجاه؟ وهل لديك شخصياً، تصور أو «سيناريو» معين لعودة مصر إلى العرب؟ وهل ستتم هذه العودة على مراحل وتدريجياً ومع كل دولة على حدة أم في شكل جماعي؟ وهل هناك اتصالات سرية مصرية ـ عربية؟

■ أود قبل كل شيء أن أؤكد حقيقة ثابتة: لا قيمة لمصر بلا عالم عربي، ولا قيمة لعالم عربي بلا مصر.

مصر والعرب قضية واحدة وكيان واحد ومصير واحد. ونحن الآن أمام وضع معين، أمام ظرف تاريخي ونفسي واقتصادي وسياسي يتلخص في السؤال الآتي: كيف قدمت معاهدة كامب دايفيد للشعب المصري؟ الواقع الذي لا بد من تأكيده هو أن هذه المعاهدة قدمت للشعب المصرية ليس على أساس أنها اتفاق مع إسرائيل، بل على أساس أنها ستجلب السلام، أي الرخاء لمصر. أذكر يوم عاد السادات من الولايات المتحدة بعد توقيع معاهدة كامب دايفيد، كنت جالساً مع الصحافي الأميركي جوزف كرافت (وهو يهودي) وكنا نتحدث عن المعاهدة. قلت لكرافت: «ستلاحظ أن هناك مليون لافتة ترحب بالسادات وبـ «عودة البطل» وبـ«السلام». لكن ليس هناك ذكر لإسرائيل في أي لافتة». الشعب المصري وافق على السلام مع المطلق، مع الرخاء، ولم يفكر إطلاقاً بإسرائيل، ولم يفكر إطلاقاً إن هذا السلام سيعزل مصر عن العرب. وهنا لا بد من العودة قليلاً إلى الماضي.

انتماء مصر العربي قديم جداً، ولم يخترعه عبد الناصر. لكن عبد الناصر حول هذا الانتماء من مجرد إحساس فكري وتاريخي وثقافي، إلى إرادة سياسية. ومن فوائد معاهدة كامب دايفيد «ونتائجها» إن الشعب المصري تأكد خلال السنوات الخمس الماضية من هويته العربية ومن انتماء مصر العربي. وهذا الشعور ليس ناتجاً عن مصلحة اقتصادية، كما يقول البعض، أو بسبب وجود ثلاثة ملايين مصري يعملون في العالم العربي. لا. إنه شعور حقيقي عميق بهوية مصر العربية. إن أسوأ ما يصاب به أي شعب هو أن يشعر بالنقص في هويته. وهذا ما حدث في فترة عزلة مصر العربية. ولنتوقف قليلاً عند معاهدة كامب دايفيد. ما هي هذه المعاهدة وكيف تمت؟ لقد جرى استغلاله لحظة في تاريخ مصر كان الشعب فيها يشعر بالتعب النفسي وبأعباء سنوات طويلة من الحرب، فجاء من يقدم لهذا الشعب حلماً هو معاهدة ستجلب السلام والرخاء. لكن هذا الحلم هو بلا أساس، إنه حلم «نصب»، حلم «حشيش»، خصوصاً حين اكتشف الشعب المصري أن هذا الصلح المنفرد مع إسرائيل لا يعني السلام ولا يجلب الرخاء. إن توجه الرئيس حسني مبارك العربي سليم وصحيح. لكن يجب التشديد أيضاً على أمر أساسي وهو إن الشعب المصري أصبح يدرك، للمرة الأولى، عن طريق التجربة والخطأ، مدى قوة انتمائه العربي. وفي المقابل لا بد من الاعتراف بأمر مهم وهو إن الشعب العربي أساء أيضاً إلى مصر، إلى مصره. عندما ضربت مصر في حرب ١٩٦٧ لم تكن هذه الضربة لعبد الناصر، بل لكل العرب. كل مشكلة تدخل فيها مصر لا يمكن إلا أن تعني وتمس كل العرب. سأكشف لك هنا أمراً مهماً: بعدما قبل عبد الناصر مبادرة روجرز في صيف ١٩٧٠ لتحقيق وقف إطلاق النار مع إسرائيل، شن الكثيرون في العالم العربي حملات على مصر وزايدوا على رئيسها. لكن الواقع أن عبد الناصر، في الوقت الذي كان يقبل مبادرة روجرز، كان يوقع خطة «جرانيت واحد»وهي خطة عبور قناة السويس على خمسة محاور، وقد نفذها السادات في حرب ١٩٧٣. لقد قصر العرب مع مصر. مثلاً، مؤتمر القمة العربي في الرباط الذي انعقد عام ١٩٦٩ فشل، ولم تحصل مصر على ما طلبته لدعم دفاعها الجوي. وما طلبته كان مبلغاً زهيداً جداً، وهو ٤٠ مليون جنيه استرليني. بعد عشر سنوات

عرض العرب على مصر مبلغ خمسة بلايين (مليار) دولار سنوياً لكي لا توقع معاهدة كامب دايفيد! هناك أخطاء من الجانبين. كلاهما جرب أن يعيش من دون الآخر. . . لكن لا مفر من عودة مصر إلى العرب وعودة العرب إلى مصر.

● **لكن كيف تتم هذه العودة؟**

■ هناك كثير من الأمور الصغيرة التي تشير إلى وجود ديناميكية لعودة مصر إلى العرب. هناك رغبة وإرادة لتحقيق ذلك لدى المصريين ولدى العرب عموماً. لقد اجتمعت بالرئيس حسني مبارك قبل سفري إلى لندن بيوم واحد، ولمست لديه رغبة شديدة في فتح جسور وقناوات اتصال مع العرب. وفي المقابل لمست من خلال اتصالي بعدد من المسؤولين، وغير المسؤولين، في العالم العربي أن هناك رغبة عربية قوية في العودة إلى مصر، إذاً، الرغبة موجودة والشوق كبير إلى هذه العودة. لكن القضية تبقى: كيف تبدأ هذه العودة وكيف تتم وكيف تدار هذه الديناميكية وهذه الإرادة لتتحقق العودة؟ وأستطيع أن أقول، من دون أن تكون لدي معلومات، إن هناك محاولات وأمور تحصل لتحقيق هذه العودة. وليس صحيحاً عدم وجود اتصالات بين مصر والعرب. فأنا أعلم أن الرئيس مبارك قابل، ولو بطريقة غير رسمية، بعض «الناس» في العالم العربي. وأتصور أن الرئيس مبارك اطلع خلال وجوده في سلطنة عمان الشهر الماضي على وجهات نظر عربية معينة تتعلق بعودة مصر. بالنسبة إلى العلاقات مع منظمة التحرير الفلسطينية أستطيع أن أقول إنه ليست هناك اتصالات بين القاهرة والمنظمة، لكنني على ثقة بأن هناك تحسساً من الجانبين لوجهات النظر تمهيداً لخطوات في المستقبل. متى تتم عودة مصر إلى العرب وتصبح علنية؟ سيتم ذلك في الوقت المناسب، وفي وقت قريب جداً، من دون أن يرتبط ذلك بشهر ابريل (نيسان) الذي يردد الناس أنه شهر حاسم. ابريل ليس شهراً حاسماً. العودة قريبة لكن هناك قضية مهمة جداً لا بد من حلها وهي: كيف تعالج عربياً بعض المتغيرات التي طرأت على الوضع المصري؟ كما أن هناك مشاكل وعقبات في وجه عودة مصر إلى العرب ستبرز من جانب أميركا وإسرائيل.

● **هل تعني بالمتغيرات وجود سفارة اسرائيلية في القاهرة؟**

■ وجود سفارة اسرائيلية في القاهرة هو بالطبع من هذه المتغيرات التي تحدث عنها. لكن أستطيع أن أقول، وهذا رأيي، بلا تردد، ان لا مستقبل للعلاقة المصرية ـ الاسرائيلية. مستحيل أن يكون هناك مستقبل لهذه العلاقة. ووجود سفارة لاسرائيل في القاهرة هو من «العجائب» و«الغرائب» التي تحدث أحياناً في العالم، لكن هذا الوجود غير طبيعي ولا مستقبل له.

● **من الواضح أن مبارك يتبع مع أميركا أسلوباً مختلفاً عن أسلوب السادات. وفي التعليقات المنسوبة إلى ألكسندر هيغ، والتي نشرتها صحيفة «الواشنطن بوست» يقول وزير الخارجية الأميركي إن عهد مبارك مختلف كلياً عن عهد السادات ويبدي قلقه من احتمالات عودة مصر إلى العرب. ولقد سمعت من أكثر من مسؤول عربي في مناسبات مختلفة أن هدف الولايات المتحدة منذ الخمسينات هو عزل مصر عن العرب. فما رأيك في ذلك؟**

■ هذا صحيح. فبعدما ورثت الولايات المتحدة بريطانيا وفرنسا في الشرق الأوسط، وضعت لنفسها هدفين أساسيين ثابتين:

١ ـ الأول إبعاد مصر عن العرب.

٢ ـ الثاني إبعاد النفط العربي عن القضية الفلسطينية بحيث لا يلعب النفط أي دور في هذا النطاق.

من هنا إن أميركا قلقة ومنزعجة من احتمالات عودة مصر إلى العرب.

● **وهل ساهم الدكتور هنري كيسنجر من خلال المفاوضات التي أجراها مع السادات في تدعيم خطط أميركا هذه؟**

■ كيسينجر هو المهندس الأكبر لهذه النظرية. وقد كان كيسينجر أنجح المهندسين لأنه حقق نتائج في هذا المجال حيث فشل دالاس (وزير الخارجية في عهد أيزنهاور). ولعل سبب نجاح كيسينجر أن وجوده على ساحة الشرق الأوسط جاء في

وقت واحد مع شعور الشعب المصري بالتعب من سنوات الحرب والنزاع، ومع وجود السادات، الذي هو بلا شك من أغرب الحكام الذين عرفهم العالم العربي. وكان السادات مستعداً ليمثل الدور المطلوب في نطاق خطط أميركا هذه. وقد استغل كيسينجر ذلك إلى أقصى حد.

● ماذا ستفعل اسرائيل، في رأيك لوضع عقبات أمام عودة مصر إلى العرب؟

■ اسرائيل، بالطبع، لن تسكت. وستقوم بكل ما في وسعها لعرقلة عودة مصر إلى العرب: من التأثيرات النفسية، إلى التآمر، إلى شيء من عرض القوة والعضلات. اسرائيل تريد أن يتوقف التاريخ، أن يتجمد التاريخ، أن يدخل في ثلاجة عميقة ويبقى هناك.

● عام ١٩٦٨ لعبت الدور الأساسي في تعريف عبد الناصر بحركة «فتح» والثورة الفلسطينية. فقد كنت أنت الذي حقق أول لقاء بين عبد الناصر وقادة «فتح» في ذلك الحين، إذ نقلت بسيارتك ياسر عرفات وأبو أياد وأبو اللطف إلى القصر الجمهوري لمقابلة عبد الناصر. هل أنت مستعد لأن تلعب دوراً مشابهاً الآن بين منظمة التحرير ومبارك؟ هل أنت مستعد لأن تكون وسيطاً لحوار فلسطيني - مصري؟ وهل طلب منك مبارك أو الفلسطينيون ذلك؟

● ما ذكرته عن العام ١٩٦٨ صحيح. يومها كان عرفات في القاهرة ومعه أبو اللطف وأبو أياد فقمت بتأمين أول لقاء بينهم وبين عبد الناصر. وإذا جاء عرفات إلى القاهرة فليست هناك أي مشكلة لمقابلة مبارك. هناك أود أن أقول إن أحداً لم يطلب مني القيام بأي دور أو وساطة، ولا أنا مستعد للقيام بأي دور. أنا، كما قلت، بعيد عن لعبة السياسة المصرية والصحافة المصرية. لكن هذا لا يمنع كوني مستعداً لخدمة بلدي والقضية الفلسطينية. لقد قمت خلال حياتي بمهمات كثيرة وبأدوار سياسية مختلفة. وأنا لا أريد تكرار ذلك ولا أحتاج إلى دور جديد.

● **نعود إلى مبارك وأميركا. لماذا رفض الرئيس المصري الحالي إعطاء أميركا؟ وهل تتوقع أن تحدث مشكلة أو أزمة في العلاقات المصرية ـ الأميركية في عهد مبارك؟**

■ لقد رفض مبارك اعطاء الأميركيين قواعد عسكرية في مصر، ليس فقط لأنه ضد هذا المبدأ، بل أيضاً لأنه لا يؤمن بجدوى القواعد العسكرية. كما أن مبارك أكد للأميركيين أنه لا يستطيع أن يقرر أي شيء نيابة عن الفلسطينيين، وهذا مخالف مع ما كان يسير عليه السادات. هل ستحدث مشكلة بين مصر وأميركا في عهده؟ لا بد هنا من القول إن أميركا تحاول فعلاً استغلال القوة الدولية لحفظ السلام في سيناء بعد الانسحاب الاسرائيلي الشهر المقبل ،لكي تحول هذه القوة إلى طليعة لـ «قوة الانتشار السريع» التي أنشئت في عهد كارتر بحجة «حماية المنطقة من أي تهديد خارجي». إن أميركا تقوم ببناء تسهيلات عسكرية في شرم الشيخ على أساس أن تستفيد منها قوات حفظ السلام الدولية. لكن الواقع أن هذه التسهيلات هي أكثر مما تحتاج إليه قوات حفظ السلام. إن أميركا تريد تحويل شرم الشيخ إلى قاعدة لقوة الانتشار السريع. والرئيس مبارك يعارض وجود قواعد أجنبية في مصر. إذاً، لا بد أن تحدث إشكالات بين الجانبين. لكن لا أستطيع القول إذا كانت ستحدث أزمة مصرية ـ أميركية.

● **يقال إن مبارك سيكلفك، بعد الانسحاب الاسرائيلي من سيناء، بدور ما على الصعيد العربي. هل هذا صحيح؟ وما نوع علاقتك بالرئيس مبارك؟**

■ اجتمعت بالرئيس مبارك منذ الافراج عني في شهر تشرين الثاني (نوفمبر) الماضي. لكن هذه اللقاءات تمت في اطار محدود جداً. هناك بالطبع ود متبادل بيننا، وأنا أتمنى النجاح للرئيس مبارك. لكن ليس صحيحاً إطلاقاً أن أحد كلفني بأي دور. وأنا لا أريد أي دور رسمي. وقد قلت للسادات مرة إنني لا أريد مكتباً أو منصباً أو مرتباً، أي لا أريد أي دور رسمي. وهذا هو موقفي اليوم. والواقع أنه ليس لدي أي سلطة في مصر ما تعطيني اياه، وأنا لست راغباً في ترتيب اجتماعات سرية بين أي طرف وطرف. لكن هذا لا يمنع أنني أستطيع أن العب دوراً، من دون

تكليف ونتيجة قناعاتي وإيماني بمصر وهويتها العربية والقضية الفلسطينية. وليس من الضروري تكليفي بدور رسمي لكي ألعب دوراً. أنا حين أتكلم وأكتب وأشرح للعالم وضع بلادي وأقول للعرب إن مصر عربية، أكون أؤدي دوراً ما. لا حاجة لورقة تكليف رسمية بذلك.

● من قتل السادات فعلاً؟ هل قتله خالد الاسلامبولي ورفاقه حين أطلقوا عليه النار يوم ٦ اكتوبر؟ أم قتلته معاهدة كامب دايفيد؟ أم قتلته أميركا؟

■ الذين شاركوا في قتل السادات كثيرون. هناك أولاً الدكتور كيسينجر ومعه رؤساء أميركا الثلاثة نيكسون وفورد وكارتر. كيسينجر اكتشف أنور السادات واكتشف نقاط الضعف فيه. اكتشف خصوصاً أن السادات يحب المديح وسماع الاطراءات ويحب أن يكون له دور ما في المنطقة. وقد استغل كيسينجر نقاط الضعف هذه إلى أقصى حد، كما أنه ساهم في تعريف رؤساء أميركا على السادات ونقاط ضعفه. كيسينجر، إذاً، هو المتواطىء الرئيسي في عملية اغتيال السادات. وتأتي في الدرجة الثانية شبكات التلفزيون الأميركية الثلاث «أي. بي. سي.» و«ان. بي. سي» و«سي. بي. اس» وخصوصاً المعلقين الأميركيين المشهورين الثلاثة فيها: برباره والترز ووالتر كرونكايت وجون شانسيلور. لقد بالغوا في اطراء السادات وتنمية الغرور فيه وتسليط الأضواء عليه، واستغلوه ـ هم المسؤولون الاميركيون ـ للحصول على التنازلات التي يريدونها منه. لقد كان السادات يتأثر كثيراً بإعجاب الاعلام الاميركي والغربي عموماً به. وأذكره مرة أنه قال لي إن عبد الناصر ظهر على غلاف مجلة «تايم» الاميركية أربع مرات «وأما أنا فقد ظهرت حتى الآن ٦ مرات». اضافة إلى ذلك هناك عدد من الصحافيين الاميركيين والغربيين الذين غمروا السادات باطراءاتهم ومقالاتهم الملأى اعجاباً به وبسياسته. هؤلاء جميعاً شاركوا في قتل السادات، قبل اطلاق الرصاص عليه في ٦ اكتوبر.

● والصحافيون المصريون؟ ألم يلعبوا دوراً مماثلاً في هذا النطاق؟

■ الصحافيون المصريون في عهد السادات كانوا أدوات في لعبة ولم يكونوا اطرافاً فيها.

● **هل تعتقد أن خالد الاسلامبولي ورفاقه سيعدمون؟**

■ هذه القضية دقيقة جداً. لا بد من القول، أولاً، إنني مدين في جزء من حريتي لخالد الاسلامبولي ورفاقه. لقد قالت السيدة جيهان السادات إن الرئيس الراحل كان ينوي الافراج عني في ابريل (نيسان) ١٩٨٢. بالطبع ما قالته لي السيدة جيهان هو في حدود معلوماتها. لكن قناعتي الشخصية أن السادات كان ينوي ابقائي في السجن مدة أطول من ذلك بكثير. وجرى اغتيال السادات. وأطلق سراحي في تشرين الثاني (نوفمبر) الماضي. أنا شخصياً ضد القتل والاغتيال، لكن ما حدث في ٦ اكتوبر هو نتيجة الحوار بالعنف والعنف المضاد الذي بدأ قبل ذلك اليوم بسنوات. القلائل يعرفون مثلاً أنه يوم حدوث الانفجار الشعبي في مصر يومي ١٧ و١٨ يناير ١٩٧٧ بسبب غلاء المعيشة ـ وهو ما أطلق عليه السادات اسم انتفاضة الحرامية ـ القلائل يعرفون أن ١٦٠ شخصاً قتلوا برصاص قوات الأمن في هذا الانفجار، أليس هذا عنفاً والعنف لا بد أن يجر العنف المضاد. حين ترفع الأسعار دفعة واحدة وتقوم التظاهرات احتجاجاً على ذلك وتواجه بالقمع، أليس هذا عنفاً؟ في سبتمبر (ايلول) الماضي اعتقل السادات كل قيادات مصر تقريباً من كل التيارات من دون أن يكون هناك أي سبب. أليس هذا عنفاً؟ أليس عنفاً أن تزج في السجن ثلاثة آلاف شخص دفعة واحدة؟ اليس عنفاً أن تعتقل شخصيات بارزة تاريخية، أمثال فتحي رضوان (٧٠ سنة) وفؤاد سراج الدين (أكثر من ٧٠ سنة) والدكتور حلمي مراد وعبد الفتاح حسن (٨٠ سنة) وعبد العزيز الشوربجي (٧٠ سنة) نقيب المحامين الذي كان يقوم وهو مرمي على الأرض في زنزانته؟ (توفي الشوربجي في ٧ فبراير الماضي). . . كي لا أذكر الآخرين. نعود إلى سؤالك: هل سيعدم الاسلامبولي ورفاقه؟ الواقع أن الاسلامبولي ورفاقه ينادون بعضهم البعض في السجن بكلمة «الشهيد». إنهم جاهزون للموت. وأنا أكره حدوث ذلك. لكن لا أعرف كيف يمكن ألا يصدر حكم بإعدامهم، ولا اعرف ماذا سيفعل الرئيس مبارك حين يرفع اليه قرار المحكمة العسكرية. اعتقد أن هذه معضلة.

● نعود إلى معاهدة كامب دايفيد. هل صحيح أن كارتر وعد السادات، قبل توقيع معاهدة كامب دايفيد، بأن يقنع بعض الدول العربية النافذة بهذه المعاهدة ثم أصيب السادات بصدمة حين فشل كارتر في ذلك؟

■ نعم كارتر وعد السادات فعلاً باقناع بعض الدول العربية النافذة بمعاهدة كامب دايفيد. وقبل توقيع هذه المعاهدة قال كارتر للسادات إن وزير خارجية فانس سيزور السعودية ودولاً عربية أخرى لهذا الشأن. وبعد توقيع المعاهدة وبينما كان السادات يستعد لمغادرة واشنطن، جاءه هيرمان ايلتس سفير أميركا في القاهرة مودعاً. وسأله السادات: هل سافر فانس إلى المنطقة؟ فأجابه ايلتس: نعم وما حدث في الواقع أن أميركا فشلت في اقناع السعودية والدول العربية الأخرى بمعاهدة كامب دايفيد، فوقفت هذه الدول ضد ما قام به السادات.

● أنت عرفت عبد الناصر والسادات ومبارك. ما سر قوة كل منهم؟

■ صحيح أنا عرفت عبد الناصر والسادات جيداً، لكنني لا أستطيع القول إنني أعرف مبارك جيداً، وما سأقوله عن مبارك مجرد انطباعات نتيجة لقاءاتي به. سر قوة عبد الناصر أنه أولاً عاش لقضايا مصر والعرب وكان تعبيراً عن لحظة تاريخية في حياة الأمة العربية. وسر قوته، ثانياً، إنه تجاوب مع طموحات أمته، وثالثاً إن عبد الناصر كان شخصاً لا يمكن افساده. بالنسبة إلى السادات، سر قوته الأساسية أنه عاش حياة صعبة جداً، وأنه تعلم من الظروف التي مر بها، التسامح والصبر والاحتمال. وحين فقد السادات هذه الصفات تعب وانهار. لقد فقد السادات هذه الصفات حين أصيب بأوهام العظمة وتصور أنه لا يستطيع الانتظار والاحتمال. فاصطدم بالتاريخ. ما قتل السادات في النهاية ليس فقط معاهدة كامب دايفيد. فالاعتقالات الواسعة النطاق التي قام بها في سبتمبر الماضي جعلته يفقد ميزته الرئيسية وهي التسامح. لقد صدمت هذه الاعتقالات الناس واعطت شرعية لأي عمل مضاد. بالنسبة إلى مبارك تجد نفسك أنك أمام رجل مستقيم وفي رأيي ان أهم ما يعمله مبارك انه لا يمثل دوراً ليس دوره أو يوحي بشيء ليس فيه. شعوره الوطني والقومي والاجتماعي سليم لأن مقوماته سليمة. وما قام به حتى الآن من

خطوات يمكن اعتباره عملاً صحيحاً. وهو يتحرك بهدوء وعلى مهل وبموازين وحسابات معينة. من واجبنا اعطاء مبارك الفرصة الكاملة لكي يعمل. وبعد فترة ستظهر أكثر فأكثر معالم شخصيته وسياساته المستقبلية.

● بعد تسلم الرئيس الحالي السلطة قال البعض إن مبارك مجرد مرحلة مؤقتة. فهل هذا شعورك

■ مبارك ليس مرحلة مؤقتة. لا أعتقد ذلك. يمكن القول إن هذه المرحلة هي مرحلة انتظار وترقب قبل الاختيار. اتصور أن مبارك قابل جداً للاستمرار من حيث إنه قابل للاستجابة للثوابت والمتغيرات في حقائق المنطقة. وأنا لا أرى ما هو البديل من مبارك، أو من هو البديل عنه؟ فالانقلابات في مصر غير مرغوب فيها. واتمنى للذين يرددون مثل هذه الأقوال أن يراجعوا أنفسهم. يجب عدم دفع مصر إلى المجهول. مصر مهمة جداً للمنطقة وللعرب ولنفسها.

● خلال وجودك في السجن تحاورت مطولاً مع الجماعات الاسلامية. وهناك كثيرون يقولون ـ أو كانوا يقولون في نهاية عهد السادات ـ إن مصر قد تتحول إلى ايران ثانية. ما رأيك؟

■ أنا أعرف ايران جيداً منذ الخمسينات. مصر لن تصبح ايران ثانية. هناك فوارق كبية بين ايران ومصر سواء جغرافياً أو اجتماعياً أو بشرياً أو دينياً. ايران تشعر بعزلة قومية ودينية وهذا يخلق توتراً وغلياناً واستعداداً للتفجير. مصر ليست كذلك. مصر واد منبسط. فيها مذهب واحد. المجتمع المصري يحتاج إلى حكومة مركزية قوية. مصر يمكن أن تكون مصدراً للأساطير لكنها في الوقت نفسه تعيش واقع وادي النيل.

● عرفت الامام الخميني وتحاورت معه ووضعت كتاباً عن الثورة الايرانية. هل تشعر الآن بخيبة أمل مما وصلت إليه الثورة الايرانية؟

■ أنا مصاب بشيء من خيبة الأمل تجاه الوضع الحالي للثورة الايرانية. حتى قامت هذه الثورة وتسلمت الحكم في ايران وحدث ما حدث، كنت أقول: «هذه

طبيعة التغييرات الكبرى في التاريخ: دم وقتلى وانقاض واشلاء». كنت أفهم ما يحدث داخلياً في ايران. لكن ما جعلني أصاب بقلق الطريق الذي سارت فيه الثورة الايرانية. لقد جرت نقاشات بين الخميني وبيني اكتشفت خلالها أنه لا يعتقد بفكرة القومية العربية ولا يؤمن بها. وقلت هذا للخميني. قلت إنه حين يقف ضد القومية العربية فهذا يعني أنه يريد تفكيك أمة وتمزيقها، وهذا يهدد بلا شك أمن الأمة العربية ويفتت وحدتها. لقد فتحت الثورة الايرانية جبهات لا لزوم لها. وللأسف أشعر بخيبة أمل تجاهها. الثورة الايرانية كانت في البداية أكبر من ذلك.

● يقال إن الصحافة المصرية كانت مقيدة في عهد عبد الناصر وتحررت أكثر في عهد السادات. هل هذا صحيح؟

■ (ضحك هيكل ولم يجب).

● إلى أين تتجه منطقة الشرق الأوسط في رأيك؟

■ المنطقة بظروفها السائدة مقبلة على فترة من الفوضى والتوتر والتفجرات والصراعات والحروب الاقليمية. هذه الفترة قد تستمر بين ١٠ و ١٥ سنة... ما لم تحدث معجزة! مثلاً، قيام حزام أمني يشكل ما يشبه قوس الاستقرار أو قوس ضبط التوترات ويشمل مصر ودول الخليج والعراق ويحمي القضية الفلسطينية.

● هل تفتقد الدور الذي كنت تلعبه في عهد عبد الناصر؟

■ أفتقد عبد الناصر وعصره، لا الدور الذي لعبته آنذاك. أفتقد هذه الحقبة التاريخية المهمة ولا أفتقد دوري.

● هل ستعود إلى الصحافة المصرية وتتسلم مسؤوليات فيها؟ وما هي مشاريعك المقبلة؟

■ لا أستطيع اطلاقاً أن أتصور وجودي في الصحافة المصرية. إذا سمحت لي الظروف بإصدار صحيفة جديدة داخل مصر وليس خارجها، فسأصدرها خلال ٢٤ ساعة! مشاريعي المقبلة؟ اعد كتابين: الأول بعنوان «خريف الغضب» وهو يتناول

أحداث مصر في الأشهر الأخيرة من عهد السادات. والكتاب سيصدر في الخريف المقبل في بريطانيا. والكتاب الثاني عن حياة عبد الناصر وعصره، وسيصدر منه جزء واحد باللغة الانكليزية ثم سيصدر بشكل موسع في ستة أجزاء باللغة العربية. والمهم في الأمر أن الجزء السادس سيتضمن وثائق تنشر للمرة الأولى وبخطيد عبد الناصر، حين جاؤوا لاعتقالي في سبتمبر (ايلول) الماضي، أرادوا مصادرة هذه الوثائق التي كتبها عبد الناصر بخطيده. ضحكت وقلت لهم: «فتشوا المنزل كله فلن تجدوها لأنها محفوظة في مكان آمن في لندن. وإذا أردتم الحصول عليها فاسمحوا لي بالسفر إلى لندن لإحضارها».

خيار مصر الاستراتيجي هو: العرب

كان الموعد قبل ظهر ٢٢ كانون الأول ـ ديسمبر في فندق «ميريديان» في القاهرة. ولاسباب صار في فندق «كلاريدج» الانكليزي مساء الاثنين الفائت.

محمد حسنين هيكل مثل ساعة «بيغ بين» دقيق في مواعيده، حريص على صداقاته. يودع مراسلاً انكليزياً ليستقبل زميلاً عربياً. متقد الذهن دائماً كأنه ما زال في «الأهرام».

تحدثنا تقريباً عن كل شيء. مصر الناصرية. مصر الساداتية. العسكر في العالم الثالث. لبنان ـ بولندا ـ ايران. العلاقات بين العملاقين، وخصوصاً مصير العلاقات المصرية ـ الاسرائيلية.

في كل هذه المسائل كان الاستاذ هيكل واضحاً عليماً صريحاً لم يداور ولم يجامل. قال ما يظن أنه الحقيقة للوقت الحاضر وفي ما يأتي الحوار معه:

● مجلة المستقبل ـ ٦/ ٣/ ١٩٨٢ ـ إبراهيم سلامة

● **صرح الرئيس مبارك اخيراً في أوروبا بقوله: أنا لست عبد الناصر ولا أنور السادات. أنا اسمي محمد حسني مبارك. بماذا تفسر هذا الكلام؟**

■ هيكل: لقد أحب أن يقول، إن الجغرافيا والتاريخ هما الحكم الاساسي في سياسة أي شعب وفي استراتيجية أي امة أو أي دولة. وأن أنور السادات تجاهل الجغرافيا والتاريخ، وأنا اعتقد أن عبد الناصر كان استجابة طبيعية لتاريخ وجغرافية مصر، طبيعة موقع مصر يعبر عن الجغرافيا والتاريخ في تطور مصر. مشكلة أنور السادات، أو ازمته الحقيقية، تصوره أنه «سوبر ستار» وبوهج الدعاية الاميركية التي أعطيت له، تصور أنه يستطيع أن يتخطى التاريخ ولعله لم ير التاريخ. وفي النهاية أن التاريخ هو الذي اغتاله. واتصور أن حسني مبارك أراد أن يقول إن كل سياسي في الدنيا يتفق مع نفسه يجب أن يعبر عن الجغرافيا والتاريخ. لكن كل تعبير يختلف عن غيره. عبد الناصر عبر عن التاريخ كما عاشه في الخمسينات والستينات ضمن حدود معينة. أنور السادات حتى حرب اكتوبر اعتقد أنه سار باتجاه التاريخ وباختياره، بعد حرب اكتوبر، الذهاب إلى القدس، يكون قد سار ضد حركة التاريخ وراح ضحية تجاهله لحركة التاريخ والجغرافيا.

واتصور أن حسني مبارك اراد أن يقول: أنا لست عبد الناصر، ولذلك بالنسبة للتعبير الذي كان يعبر به عبد الناصر. وأما قوله لست أنور السادات، فلا اعرف ماذا يقصد بقوله هذا. وهو كان يقول: أنا تكملة لانور السادات. لكن أنا لست أنور السادات. وما اتصوره أن حسني مبارك بطبيعة تكوينه وطبيعة تركيبته يمكن أن يكون عنده تعبير آخر عن جغرافية وتاريخ مصر.

● **يقال إن مفاوضات الحكم الذاتي تتعثر حالياً وأن شامير زار مصر وعاد متشائماً. هل تعتقد أن إسرائيل جادة فعلاً بإعادة سيناء؟ وهل تعتقد أن الرئيس مبارك يهمه هذا الموضوع والعودة إلى المعسكر العربي؟**

■ هيكل: أنا لا اعتقد أنه كان في وقت من الاوقات شيء ما اسمه مفاوضات الحكم الذاتي. يمكن القول إنه كانت هناك مسرحية اسمها مسرحية الحكم الذاتي. أنور السادات كان يملك في كامب دايفيد حق الكلام نيابة عن مصر، وهذا سهل جداً لأن الموضوع محصور في ولايته على سيناء، باعتبارها جزءاً من مصر. وإسرائيل عندها فيها ترتيبات امنية يمكن أن تتحقق، وبامكان أنور السادات أن يقبل أو أن يرفض هذا الموضوع. لكن في ما يتعلق بالفلسطينيين، من اللحظة الاولى التي قال فيها الفلسطينيون إنهم لن يحضروا مؤتمر القاهرة، الذي تم بعد المبادرة، لم يعد هناك شيء اسمه حكم ذاتي. اصبح هناك مسرحية اسمها مسرحية الحكم الذاتي، في الواقع كان هذا غطاء شفافاً جداً لحقيقة أن هناك صلحاً منفرداً بين مصر وإسرائيل. وعندما يقول حسني مبارك لريغان: أنا لا استطيع أن اعطي شيئاً باسم الفلسطينيين يكون الرجل قد نفض عن نفسه هذا القناع الزائف.

على الاقل هذه الورقة الشفافة قد سقطت. لنتكلم في حدود سيناء. ومفاوضات الحكم الذاتي حتى في وقت أنور السادات كانت مجرد غطاء. لأنه لا يملك هذا الحق. ليس هناك شيء اسمه مفاوضات حكم ذاتي جارية، ولن تجري هذه المفاوضات. لأن الطرف الاصيل فيها غائب. وإذا حصل أن إسرائيل ضمت فعلاً الضفة الغربية وغزة، وعملية الضم جارية فعلاً، والقدس ضمت بقانون. فليس هناك حكم ذاتي بل نوع من المجالس البلدية. في البداية كان هناك خرافة اسمها الحكم الذاتي. وكانت غلالة رقيقة في الواقع لتغطية أن ما حدث في كامب دايفيد هو صلح منفرد بين مصر وإسرائيل، وهذا ما حدث مع الاسف ابتداء من فك الارتباط الاول. وهذا كان سبب خلافي مع أنور السادات وأنا اسمي هذا حقيقة مفترق الطرق بيني وبين أنور السادات. لأن معنى أن توقع فصل قوات أو فك ارتباط منفصلاً هو أنك في طريقك إلى صلح منفرد. وحين وضع، بعد ذلك،

الموضوع الفلسطيني كان ذلك مجرد غطاء لسبب بسيط هو أن مصر لا تملك عملياً أن تتكلم باسم الفلسطينيين بينما إسرائيل تملك عملياً أن تنفذ فوق الفلسطينيين وبالتالي فإنها ليست موجودة الآن ـ أي مفاوضات الحكم الذاتي ـ ولن تستمر في المستقبل.

● يوم خروجك من السجن، صرحت عبر مجلة المصور أنه بعد مناقشات مع بعض الاخوان المسلمين المعتقلين، شعرت أن هوة كبيرة تفصل ما بيننا وبين هؤلاء الناس. هل معنى ذلك أن ما يسمى بالردة الاسلامية التي بدأت بالخميني ويتابعها الآن بن بيللا هي تعبير حقيقي عن الحس الجماهيري؟

■ هيكل: أولاً يجب أن تفصل بين ما يجري عند الخميني وبين ما يحصل عندنا في المشرق. (أنت لا تقرأ تصريحات بن بيللا وهذا موضوع آخر، مختلف). ايران عندها مشكلة خاصة بذاتها وهي أنها قومية محاصرة. انظر إلى الخريطة. إيران بلد محاصر، قومية محاصرة بين شبه القارة الهندية من جهة والقومية العربية من جهة. دع الاتحاد السوفياتي، أنا أتكلم عن القوميات التي تنتمي الى نفس الأسس الحضارية الأديان. شبه القارة الهندية فيها باكستان والهند ـ ومن ناحية أخرى العالم العربي. وإيران قومية أقلية منعزلة، ومذهب أقلية منعزلة، وبالتالي فإن القومية الذاتية لايران هو قومية الأقلية ومذهب الأقلية المحاصرة بين بحرين، معنى هذا أن لها تركيبة خاصة ليست موجودة عندنا، ما يحدث في العالم العربي، أي الظاهرة الإسلامية في العالم العربي وأنا لا أسميها ردة إسلامية، هناك عملية أكاد أسميها تراجعاً بالتاريخ الى المطلق.

● في كتابك الاخير عن الخميني قلت إنها حربة من القرن الرابع عشر دخلت في القرن العشرين.

■ هيكل: ما اكتشفته في السجن كان عندي قبل ذلك ولكن ما هالني في السجن هو أن هناك جيلاً من الشباب فقد ايمانه بحاجات كثيرة. أنور السادات قال لهم إن عبد الناصر «وحش» عبد الناصر قال لهم قبل ذلك إن الملك فاروق «وحش» وبعد ذلك الاشتراكية التي كان يحلم بها هزته والقومية العربية التي كان يفكر فيها ليست

قومية عربية. والانفتاح سبب له الكوارث. هذا الشباب اصيب بيأس في اصالته، بيأس من التاريخ فاراد أن يتراجع إلى اية نقطة. أنت إبراهيم سلامة تمشي في الحياة على أي اساس. أنت تمشي في مجموعة يقينيات. وهي في ذهنك. أنت متعلم تعليماً معيناً، لك اسرة معينة ووطن معين حتى وإن كانت حالته «كرب» وهذه كلها متداخلة مع بعضها هي التي تساعدك على الذهاب والإياب، وتفعل ما تريد. أنت تمثل جيلاً بحاله من الشباب. اسقطت كل هوية له وعندما يفقد الواحد هويته، ماذا يفعل؟ يتراجع إلى أي «حتة» امامه. إلى أمام نسبي. يعني التاريخ، يعني الانسان الذي امامي يهتز. أنا اتراجع إلى الغيب وإلى المطلق. انكمش داخله. وبالتالي هذه الظاهرة الموجودة هي ظاهرة تراجع من التاريخ إلى الغيبي. إلى المطلق.

● **هذا التراجع أو هذه العملية هي نتيجة ماذا برأيك؟ ماذا ستولد عنها؟**

■ هيكل: سيتولد عنها سلطان بشع في مجتمع من مجتمعاتنا وحصل هذا في مصر خذ مثلاً جماعة الجهاد، التي هي فرع من فروع الجماعات الموجودة في مصر. والجهاد هذا تنظيم موجود، وإحدى خلاياه هي التي نفذت وبالجرأة التي شاهدت عملية اغتيال أنور السادات. وهناك مشكلة اكبر من ذلك. في فترة حكم عبد الناصر حصلت اشياء، أنا معترض عليها. أو لست متحمساً لها، فهو ترك الشارع المصري متسيساً باستمرار. الاخطر من هذا أن الشارع اطمأن كثيراً، ثم أنه استيقظ بالرصاص. ثم أنه استيقظ وفيه بؤر عنف، وبقي هذا مع أنور السادات. والسادات في حديثه معي في ١٩٧٥ في أسوان، عندما كان كيسنجر يفاوض، حدث اضراب في المحلة. قال لي إن الشيوعيين هم الذين يقومون بالاضراب قلت له إني اتابع ما يجري في المحلة، وهؤلاء ليسوا بشيوعيين. أنت دائماً تتكلم عن مجتمع مصري مسالم، هناك شحنة من العنف جرُعت في المجتمع المصري. هناك حوالي مليوني مصري دخلوا في دوامة الحرب. من ١٩٦٧ حتى ١٩٧٤. هناك سبع سنوات، الذين جندوا في هذه الفترة ودخلوا الجيش هم شباب من كل المناطق. عملوا مشاة و «كوماندوس» وقتلوا وعملوا... هذه هي شحنات العنف. الشعب المصري الذي كان يوصف دائماً بالشعب المسالم الطيب.

الشعب المصري دخلته شحنات من العنف موجودة ومكبوتة. أضيف اليها اخيراً أيضاً عملية التراجع المطلق. اريد أن اسألك سؤالاً. هل من الممكن تصور أن العملية التي نفذت بالذات (مقتل السادات) كانت عملية عسكرية منظمة بكل معنى الكلمة. انت في وسط الجيش، وسط قوة الجيش عربة يأخذها، يسلحها ويدخل بها ثم يطلق النار وينزل ويضرب.. بالصورة التي شاهدتها. ولم تهتز يده. ايه ده، ده ظاهرة ليست فقط تسيس الشارع عنف بالتجربة التاريخية، ثم عنف بالتراجع التاريخي.

● **يقولون إن تصفية السادات ما هي الا مقدمة لتغيير شامل في منطقة الشرق الاوسط العربية. هل برأيك أن ذهاب السادات سيؤثر على الانظمة المشابهة له في المنطقة؟**

■ هيكل: أنا اعتقد أن الموضوع ليس موضوع السادات. أنا اعتقد أن الموضوع أكبر من ذلك وهو غياب مصر. غياب السادات بالطريقة التي حصلت هو نتيجة لغياب مصر. والتأثيرات التي ستحصل في العالم العربي كله ليست نتيجة لغياب السادات. إن أنور السادات كان عاجزاً عن ضبط العالم العربي. نحن باستمرار في الشرق الأوسط في صراع في الصميم هذا ما كان يقوله عبد الناصر. النظام العربي الذي يرتكز على شق الضمان الجماعي العربي. والذي كان عبد الناصر يقول إنه لا يمكن لتركيا أن تدخله ولا ايران ولا باكستان وبالتالي ولا إسرائيل. النظام العربي هذا ضُرب في ١٩٦٧. اصيب بضربة ـ لكن بغياب جمال عبد الناصر، فقدت مصر توجهها العربي أو قدرتها على التأثير في العالم العربي. وجاء أنور السادات وكرس هذا بسياسته. لكن غياب مصر صاحبة الدور التوحيدي ادى إلى جعل كل هذا الموزاييك يهتز. والمطروح الآن هو النظام الشرق الاوسطي.

كان هناك حلم بنظام عربي. جاء عبد الناصر واستطاع أن يحوز على حلم النظام العربي. لم يخترعه اخذ الحلم ونفذه بشكل آخر. لكن الغرب كان يطمح دائماً لمنع هذا النظام العربي. لكن النظام الاقليمي الموجود لا يمكن الا أن يكون

نظاماً شرق اوسطياً، وشرق اوسطي معناه أن تدخل فيه باكستان وتدخل فيه تركيا وايران ثم إسرائيل. ومع الأسف الشديد أن الجامعة العربية قد سعت إلى تحقيق ذلك حتى قبل حرب اكتوبر. وعلى سبيل المثال قبلت القوميات الاخرى. جيبوتي مثلاً ليست دولة من الجامعة العربية. الصومال رغم عروبته يستعمل الحروف اللاتينية.

ونستنتج أن عملية كسر النظام العربي موجودة ومستمرة وهي، كحرب، تعتبر الوسيلة الاساسية لكسر هذا النظام. ولكن إلى جانب هذه الوسيلة الاساسية كان هناك وسائل اقتراب اخرى فرعية كأن تعوم الخاصية العربية إلى حاجات اخرى تحت دعوى الاسلام وهذا كان موجوداً في المؤتمر الاسلامي الذي انعقد في السعودية. لكن الكلام عن الشرق الاوسط يعني أن إسرائيل جزء فيه وتركيا جزء فيه. وانسحاب مصر من النظام العربي لم يخلخل فقط النظام العربي ككل وجعل الباقي شظايا لكنه أيضاً فتح الطريق للنظام الشرق ـ اوسطي.

● حذر وزير خارجية فرنسا كلود شيسون عندما كان في القاهرة مؤخراً، من خطر تقسيم البلاد العربية إلى معسكرين: سوفياتي واميركي طبعاً هذا كلام اوروبي. هل تظن أن كلامه في محله أم أن واشنطن ما زالت كما كان يقول الرئيس السادات تمسك بجميع، أوراق الحل في الشرق الأوسط؟

■ هيكل: كلا. أنا لا أعتقد ذلك. منذ طرد الخبراء السوفيات من مصر سنة ١٩٧٢ ومنذ إخراجهم من محاولة حل أزمة الشرق الأوسط في أوائل سنة ١٩٧٤ (مؤتمر جنيف) أدرك الاتحاد السوفياتي أنه مني بهزيمة كبيرة في الشرق الأوسط. عندما تحاول أن تعالج تفكير السوفيات تجد أنهم دائماً يتكلمون عن التاريخ. السوفيات يفكرون في ما هو استراتيجي والأميركيون يفكرون في ما هو تكتيكي. السوفيات يعتقدون بحركة دوران التاريخ لمصلحتهم بينما الأميركيون هم ضد أي تغيير في هذا المجال لأنهم يعتقدون أن كل تغيير يأخذ من مكاسبهم.

اعتقد أن الاتحاد السوفياتي يرى التفاعلات الجارية في المنطقة وهو يدرك أنه

مني بهزيمة. إن السوفيات واقعيون من هذه الناحية كثيراً. ليس عندهم قوى ضاغطة. ليس لديهم كونغرس يشرشح الرئيس وليس هناك صحافة. . وبالتالي فهم يستطيعون أن يقوموا بانسحاب وأن يغطوا هذا الانسحاب تحت أي ستار. وهم برأيي تراجعوا وانسحبوا عندما وجدوا أن قضية الاسلام تؤثر في الجمهوريات الجنوبية عندهم. دخلوا افغانستان وانتهى الموقف هناك عسكرياً ووقفوا منتصرين. هم ينتظرون ـ كما أظن ـ تفاعلات هذه المنطقة فتصل بين هذه الشظايا أو تفتت فيما بين هذه التفاعلات كلها عن طريق قضايا اجتماعية ـ اقتصادية ـ سياسية فكرية الخ. هم يعتقدون أنه في المحصلة النهائية لا يوجد شيء يمشي سوى مصلحتهم أما الاميركيون فهم يريدون أن يرتبوا الاوضاع لكي يمنعوا إما تطورها وإما تدهورها وإما تقدمها. وبالتالي فإن موقف هاتين الدولتين ـ باعتقادي ـ لا قواعد له. واحد واقف ينتظر تفاعلات التاريخ وواحد يحاول أن يوقفها. وتفاعلات التاريخ هذه قد تتطلب وقتاً طويلاً وقد تجيء هذه التفاعلات على غير ما يشتهي. أما الذي يحاول أن يوقفها فلا يستطيع أن يوقفها. هو لا يستطيع أن يوقف الشاحنة. لا يستطيع أن يمنع اغتيال أنور السادات. وبالتالي اعتقد أنهم في موقف صعب وحرج للغاية في الشرق الأوسط لأنهم فعلاً يقفون في وجه حركة التطور التاريخي. لا يستطيع أحد منهم أن يقوم فيها بعملية مراقبة «كونترول» في هذه الحركة الحاصلة. على كل حال ليست الدول هي التي تصنع التاريخ. هذا تصور خاطىء. نحن ـ دون شك ـ نساهم أحياناً فيه. لكن التاريخ هو مجموعة احداث. الذي يقرأ حوادث التاريخ يبدو كأنه قرأ أو رأى مسرحية كاملة لكن هذه المسرحية الكاملة لكي تخرج بالطريقة التي يمكن للمشاهد رؤيتها، حصل وراءها مآسي ومشاكل واختلافات وانقسامات.

● **كالمسرحية التي تجري وراء الكواليس؟**

■ هيكل: بالضبط فيها فوضى وزور وطلوع وسلالم. . . الخ. من يصنع التاريخ؟ ليس فقط السادات! أنا اعتقد أن ولداً مجهولاً اسمه اسلامبولي أثّر في التاريخ أكثر مما اثّر أنور السادات. ألم يكن السادات على شاشات التلفزيون

عندما جاء ولد من المجهول لا نعرفه (وراح ضارب). وغيَر الصورة كلها.

● **أنت الصحفي المصري الكبير الوحيد الذي لم يز ر لبنـان. وكنـت في الماضي تصرح عندما لم يكن لبنان في حاله الحاضرة بأنك لم تكن بحاجة أن تزور لبنان. بعد الخراب الـذي حل بلبنـان، ما هو في تقـديرك حجـم المساهمـة العـربية في تدمير هذا البلـد؟ ومـا رأيك في حجـم ومساهمـة السادات شخصياً بالموضوع؟**

■ هيكل: أولاً ليس صحيحاً أنني لم ازر لبنان لأنني زرت لبنان مراراً. وآخر مرة زرته كانت في سنة ١٩٧٥ وقلت لكم أنكـم على شفا كارثة وقلت ذلك أيضاً من على شاشة التلفزيون في حديث مع عادل مالك. قلت له: أنا لا اعتقد أن لبنان والتركيبة اللبنانية تستطيع أن تتحمل تناقضات المنطقة. اسمح لي أن اقول دون أن تزعل أنت كلبناني إن هناك ثلاثة بلدان اصطناعية في المنطقة هذه البلدان انشأتها ظروف استراتيجية.

أولاً: إسرائيل قائمة على التناقض العربي ـ الغربي.

ثانياً: الاردن قائم على التناقض العربي ـ الإسرائيلي.

ثالثاً: لبنان قائم علـى التنـاقض العربي ـ العربـي، تقـول لي أنـت ما مدى مساهمة العرب في تدمير لبنان. اقول لك إن ذلك يعادل مساهمة العرب في تعمير لبنان. اليس كذلك؟ نفس الحكاية. أنتم كنتم عائشين على التناقضات العربية. وكانت التناقضات العربية مضبوطة بوجود مصر ووجود جمـال عبـد الناصر. ايام عبد الناصر كنتم تتهمونه بالدكتاتورية. . . لأنكـم كنتم عائشون على التناقضات. كويس. جاء عبد الناصر عملها فيكم واختفى. كويس. واختفى النظام العربي. وقواعد التناقضات الموجودة اختلطفيها الحابل بالنابل. وأنور السادات الذي كان يقود أكبر دولة تقدميـة ثوريـة راح وانضم الى معسكـر آخر. الحاجة انتفت الى وجود لبنان مع الاسف الشديد. اقصد الحاجة الاجتماعية الاستراتيجية الدولية. يمكن يزعلوا مني لأني اقول كده. لكن معليش. لبنان كان «كانتون» كان مكانـاً لتهريب الاموال. كان مكاناً للقاء قوى اجتماعية متصادمة واستفاد من ذلك وعمر.

اليس كذلك. العمار في بيروت. انتم يا اخي عملتوه؟ تضحك علي؟ انتم كنتم القاعدة الخلفية لكل عباءة البترول ولكل عباءة الامن المحيط بالبترول في المنطقة. واختلت قواعد اللعبة وبما انكم كنتم ساحة ولم تكونوا اطرافاً في الصراع حصل ما حصل. الذين كانوا يصرفون عندكم ويسهرون عندكم تخانقوا عندكم.

أنا زرت لبنان وقلت كده. قلت في سنة ١٩٧٥ يا إخواننا مش ممكن. الصيغة اللبنانية لم تعد تحتمل. قلت هذا الكلام على التلفزيون اللبناني. قلت هذا في اجتماع حضره معي الامام موسى الصدر وكان موجوداً عدد من الزعماء اللبنانيين. وقلت: يا اخواننا انا قلق جداً على لبنان. الصيغة اللبنانية لم تعد تحتمل.

● **لو اخذنا خريطة العالم الحالية: في السلفادور: حرب. في بولونيا: مجاعة. في كامبوديا: حرب. في لبنان: حرب. في افغانستان: حرب. هل تظن هذه البؤر يمكن تهدئتها أم انها مقدمة لمواجهة شاملة؟**

■ هيكل: لا لا غير ممكن. ليس هناك احتمال مواجهة شاملة. هم يتقاتلون ليس من اجل مواجهة شاملة ابداً. لكن هناك نقاط احتكاك. هناك حاجات فيها خطوط محددة كوضع بولندا مثلاً. أنا اعتقد أن الغرب ارتكب غلطة بشعة جداً في بولندا. افغانستان نقطة تماس. عندما يحتك حجران احدهما بالآخر تحصل شرارة لكن ليس اكثر من كده. لن يحصل صدام. كل الذي تراه هو سبيل اعادة الضبط / (Controle) والصراع بين الاثنين مستمر. واستحالة الحرب بينهما قائمة. لكن سبب الصراع يحصل في تقدم وتأخر في مواقع وفي تأثيرات سواء في التفكير أو في الدعاية أو في التأثير أو في الضغط الخ... كل طرف من الاطراف مضطر لاعادة عملية الـ: / (Controle) على أي حاجة تفلت منه. ونحن للأسف بين المنطقتين. واقعون داخل المنطقة الحيوية لهذا الطرف أو في المنطقة المباشرة له. مثلاً خذ أوروبا الشرقية. الاتحاد السوفياتي لن يسمح لاحد بأن يلعب بها وعند اللزوم يدخل اليها بالقوة. اميركا اللاتينية ـ بعد كوبا انتهت التجربة. خلاص. كوبا محصورة وراح تروح ـ لكن بعد فيديل كاسترو ما الذي سيحصل؟ هذه المنطقة مأخوذة للاميركيين ما فيش حاجة ثانية. الاتحاد السوفياتي لا يفكر أن يعمل

فيها مؤامرات ولما حصل فيها نظام تقدمي حتى بالطريقة التي حصلت بواسطة الليندي اندبح (ذبح). اميركا اللاتينية منطقة مقفولة للأمن الاميركي. واوروبا الشرقية منطقة مقفولة للاتحاد السوفياتي أو للكتلة الشرقية. هناك مناطق مقفولة لا احد يقترب منها. وهناك مناطق يمكن الدخول اليها باتفاق. وهناك مناطق مفتوحة مثل مصر وسوريا. والجزائر. . . هناك مناطق قريبة اكثر مما هي مفتوحة لكن لا بد أن تنتظر كبطل زور. عندما يخل احد منهم بقواعد اللعبة أو يشتغل فيها اكثر من بطل زور، يحصل التصرف. .

● **يقول الدكتور كيسنجر الذي لا تحبه ولا يحبك وهذا شيء جميل أنه في اليوم العاشر للحرب لم يبق لدى إسرائيل من عتاد ما يكفيها سوى ليومين فقط وأنه علم بهذا الموضوع ولم يبلغ وزارة الدفاع.**

■ هيكل: كلا لا يقول ذلك كيسنجر. الذي يخبئه كيسنجر هو حجم الخسائر الإسرائيلية ٤٠٠ دبابة. مش صحيح. الذي تقوله غير موجود هنا في المذكرات. أنا قرأت مذكراته كلها. كلا لا يقول ذلك. هو يقول إنه خبأ عن وزارة الدفاع حقيقة أن إسرائيل خسرت في الايام الستة الاولى للحرب على الجبهة المصرية وعلى الجبهة السورية ٤٠٠ دبابة وأن هذا كان حجماً مخيفاً. لو قاله في البنتاغون لكانوا وقعوا كلهم لهول الخبر ولو عرف به العرب لكانوا تابعوا الحرب.

● **هل معنى ذلك أن السادات طلب وقف اطلاق النار فجأة في اليوم الخامس عشر من الحرب. هل معنى ذلك أنه ابلغ بهذه المسائل؟**

■ هيكل: أنت تخلط بين مراحل مختلفة. الحرب جرت في ٣ مراحل:

المرحلة الاولى: كان لدى العرب عنصر المفاجأة لكن عنصر المفاجأة انتهى في اليوم الخامس. وما كان عندنا حاجة نطور بها الامور. خلي بالك إن الموقف على الجبهة السورية كان خطيراً بعد ثلاثة ايام من الحرب. على الجبهة المصرية وفي الايام الخمسة الاولى للحرب كانت المبادرة لنا. لكن في ١٣ اكتوبر/ تشرين الاول حاولنا تطوير الهجوم. ولم ينفع تطوير الهجوم وكيسنجر نوه بذلك. هو يتكلم

حتى ايضاً عن خسائرنا في الدبابات. في يوم ١٤ حدثت معركة كنا نحاول عبرها الوصول إلى طاسة وبلوظة. . حتى المضائق. الخمسة الايام الاولى كانت خيراً. الخمسة أيام التالية كانت غير واضحة ثم جاءت الثغرة وبدأ الجيش الثالث يتعرض لما تعرض له. والجيش الثاني هو موضوع ثان لكن عندما طلب أنور السادات وقف الحرب. وأنا اعتقد (شهادة له) بأن ذلك كان من اصوب قراراته التاريخية رغم أنني عارضته فيه (وهذا للانصاف امام ربنا) أنا اعتقد أن قرار بدء الحرب لم يكن لانور السادات دخل فيه قرار بدء حرب اوكتوبر كان قرار جيش مصر كله.

عايز اقول: إن الجيش المصري والشعب المصري كان متوجهاً إلى معركة لا يمكن ايقافه عنها، بمعنى أنه لو قلت للجيش ارجع قبل أن ينهي حربه لانقض عليك. لا يستطيع. مثل صاروخ الفضاء الذي اطلق كيف ترجعه من الفضاء؟ أنور السادات باعتقادي دخل حرب اوكتوبر جنب الشجاعة في اتخاذ القرار لكن كانت مفروضة عليه وانا عارف كيف دخلها. لكن الذي عمله أنور السادات باختياره (وأنا اعتقد أنه احسن قراراته) هو أنه أوقف اطلاق النار في الوقت الذي اوقف فيه وإن عارضته أنا فيه لأنني كنت حاضراً، كنت شاهد عيان إكثر من كيسنجر على الاقل في الجانب المصري. يوم ١٩ في الليل بدأ أنور السادات يجمع صورة الجبهة ـ صورة الوضع العسكري ثم شدد على امرين:

١ ـ قال: انا مش عايز اخلي جيش مصر يدمّر.

٢ ـ وانا عايز احافظ على شيء من حالة الانتصار بمعنى ان يظل لي وجود على الجانب الشرقي من قناة السويس.

أما أنا فقلت له: طيب اخّر وقف اطلاق النار ولو لست ساعات.

١: لغاية ما تأتي قوات الطوارىء أو مراقبو الامم المتحدة من قبرص. وكنت اقول له لا يمكن أن تقبل القانون دون وجود القاضي الذي ينفذه.

٢: كنت اقول له: اخطر السوريين بلحظة وقف اطلاق النار. هو اخطرهم بفكرة وقف اطلاق النار، لكنه لم يخطرهم بلحظة وقف اطلاق النار.

الموعد اتفق عليه وقال لي السادات إن السوفيات سيبلغون السوريين. وأنا ما رضيت وقلت له بحضور اشرف مروان وسيد مرعي. قلت له: هم عندما دخلوا الحرب لم يتفقوا معك انت. وبالتالي هم لازم يعرفوا اللحظة التي يجري فيها وقف اطلاق النار. لكن قرار وقف اطلاق النار كان ـ باعتقادي ـ قراراً مصيباً جداً ويدخل في التاريخ. أنا اسجل له أنه حافظ على الجيش المصري وحافظ على وجود عسكري مصري في شرق القناة. اخطأ في اعتقادي في شيء واحد أنه لم يخطر السوريين بالموعد المحدد في اللحظة المحددة لوقف اطلاق النار وبالتالي حصل خلخلة على الجبهتين ثم مضى الى عملية فك الارتباط المنفصلة.

● **هل تظن أن الرئيس مبارك يعتقد أن الإسرائيليين سينسحبون من سيناء؟**

■ هيكل: الحديث عن الانسحاب الإسرائيلي او عدم الانسحاب مغامرة. أنا اتصور أن إسرائيل إذا انسحبت، لن تفعل ذلك قبل أن تقطع كل الجسور القائمة بين مصر والعرب. وقد تحملت مصر برئاسة مبارك فوق ما يتحمل البشر من استفزازات إسرائيلية. وقد قلت هذا الكلام مؤخراً في لقاء لي مع السفير الأميركي في القاهرة. قلت ما معناه: «كفى امتحانات لمصر هذه الاستفزازات لا يمكن أن يقبل بها بشر».

هيكل للمصور:
هذا هو موقفي من حادث المنصة

وجه محمد حسنين هيكل هذه الرسالة إلى رئيس تحرير مجلة المصور مكرم محمد أحمد، إثر مقال نشره حول تصريحات لهيكل في صحيفة الصنداي تايمز البريطانية، تناولت حادث المنصة

● مجلة المصور ١٩/ ٣/ ٨٢

● عزيزي مكرم

قرأت مقالك في عدد المصور الأخير وفهمت منه ـ وأرجو ألا يكون فهمي مشوباً بمظنة ادعاء ـ أنني المقصود، سواء في ذلك ما قدمت به من كلمات رقيقة. أو ما ألحقت به من عتاب.

ولست متأكداً من أنني أستحق كلماتك الرقيقة، وإن كنت أعتز بها، ولكني متأكد من أنني لا أستحق العتاب، أو على الأقل فإنني فيما أتصور ـ وكل تصور اجتهاد معرض للصواب والخطأ ـ لم أقل ما يستوجب ذلك العتاب.

إنني أسمح لنفسي أن أناقشك أنت فقط ودون غيرك من الذين تباروا بينهم للكتابة عني في الأسابيع الأخيرة وذلك لأسباب كثيرة أعفي نفسي، وأعفيك وأعفي قراء المصور من تفاصيلها. . وأحسب أن كثيرين وأنت منهم ليسوا في حاجة إلى هذه التفاصيل، «فأنا» أعرف و«أنت» تعرف و«هو» يعرف و«هم» يعرفون. . إلى آخر الحركات في تصريف الفعل المشتق من مصدر المعرفة!

لقد نسب إليَّ أنني تعرضت خلال حديث أدليت به لصحيفة «الصنداي تيمس» لعملية اغتيال الرئيس الراحل أنور السادات، وأنني أضفيت على الذين قاموا بها من عندي صفة البطولة واستنكرت أن يلحق بهم من جراء اغتيالهم له أي عقاب. ولم يكن ذلك كله تعبيراً أميناً ولا صادقاً عما قلت. وهو منشور مطبوع. مع ملاحظة أن ما قلته كان حديثاً دائراً بيني وبين الصحفي البريطاني الشهير «سيمون ونشستر»، ولم يكن مقالاً بقلمي كتبته بوزن كل عبارة ومراجعة كل كلمة حتى أتحمل المسئولية الكاملة فيه. أنت تعرف الفارق بين الحديث الصحفي وبين المقال. أولهما قياسه بالروح والمعنى. والثاني حسابه بالنص والحرف.

ومع ذلك فأنا قابل وراض عن كل ما نسب إلي في هذا الحديث شريطة أن يؤخذ به كله، بغير أن يكون هناك انتقاء لعبارة خارج سياقها، أو لكلمة يجري تأويلها على هوى أصحاب التأويل.

ويطرأ على بالي سؤال بسيط وبدهي:

- ألم يكن من الحق، والقضية خطيرة - على هذا النحو - أو هكذا جعلوها! - أن يترجم نص الحديث وينشر، لكي يعرف الناس كلهم موضوع القضية ويكون سهلاً عليهم بعد ذلك فهم نقطة الاتهام الموجّهة إلى صاحبه؟!

دعني أسألك ملحاً:

- ألم نشبع بعد من أسلوب أن فلاناً «أساء إلى مصر» بما كتب، و«أهان شعبها» بما قال، و«عمل ضدها» بما سعى؟ ألم نشبع بعد من هذا الكلام المطلق على عواهنه دون سند أو دليل، دون تقدير للظروف أو للمسئولية؟

ألم نكتشف بعد إلى أين وصل بنا هذا الأسلوب، وألم يكف أصحابه ما صنعوا؟!

ربما تأذن لي بعد هذه المقدمة، أن أبدي لك رأيي في موضوع العنف السياسي.

رأيي كما يلي بوضوح:

إنني لا أحبذه، ولا أقره ولا أدعو إليه تحت أي عذر من الأعذار أو أي تعلة بالظروف والأوضاع.

أسبابي في ذلك لا تقبل حتى أنصاف الحلول:

● إنني أولاً صحفي: مهنته ومهمته ودوره هو الحوار، والحوار كلمة. وحين تتحول الكلمة إلى رصاصة، فإن المهنة والمهمة والدور جميعاً تصبح ريشاً طائراً في مهب ريح عاصف!.

● ثم إنني أيضاً بالطبيعة وبالفكر وبالتجربة لا أؤمن بالعنف الفردي. وبالتالي فأنا لا أعطي لأي إنسان، مهما حسنت نواياه أو مهما علا قدره الحق في أن ينصب

نفسه خصماً وقاضياً ومنفذاً لرأي رآه من زاوية محددة ومحدودة، **سواء كانت زاوية** السلطة أو الفكرة أو العقيدة.

● ثم إنني كذلك أحترم الحياة إلى حد التقديس، ولا أعطي لأي مخلوق أي حق على حياة مخلوق آخر، فالروح يملكها بارئها، ومشيئته وحده هي التي تحكم المقادير والمصائر.

أما وقد قلت ذلك بوضوح فدعني أضف إليه شيئاً آخر، وهو أن الاغتيال السياسي ظاهرة موجودة في التاريخ من أوله إلى آخره. كما أنه ظاهرة شهدتها كل أمم الأرض من الأفق إلى الأفق... من حيث تشرق الشمس إلى حيث غروبها.

إنك تعرف بالطبع أن ظاهرة الاغتيال السياسي أصبحت مادة تدرس ضمن مجموعة علوم السياسة الخارجية في أكبر الجامعات في العالم الآن. «هارفارد» على سبيل المثال.

في الماضي ـ كما تذكر ـ كان منهج تدريس العلوم السياسية يتركز على شيء من التاريخ وشيء من القانون الدولي وشيء من دساتير المنظمات الدولية إلى جانب المعاهدات الشهيرة في التاريخ.

الآن اختلف الوضع، فهم يدرسون علوم السياسة على أساس منهج واحد هو «الصراع». أصبح «الصراع» وهو علم السياسة الخارجية، وأصبحت هناك مواد مستقلة عن «نشأة الصراعات» و«ادارة الصراعات» و«حل الصراعات»، وأصبحت هناك مادة مستقلة «للأزمة»، تتضمن هي الأخرى مواد فرعية هي «ادارة الأزمات» و«حل الأزمات» و«المفاوضات». وأخيراً تفرعت من هذا كله مادة مستقلة تدرس وحدها بأستاذ كرسي في جامعة «هارفارد» وغيرها، هي مادة «العنف»... تدخل ضمنها ظاهرة الاغتيال السياسي.

وإذن فإن ظاهرة الاغتيال السياسي ليست ظاهرة قديمة فقط وليست ظاهرة عالمية فقط وإنما هي أيضاً معاصرة اهتم بها العلم الحديث وأتى بها من عوالم الهوس والجنون، حيث كان الناس عادة يضعونها، إلى مجالات الفحص والبحث

الدقيق لأنها أخطر من أن تترك للممرضين في مستشفيات الأمراض العقلية، أو بعض كتاب الصحف!!

أستأذنك في أن أستطرد، وأرجو أن يتسع صدرك وصفحات «المصور» وصبر قرائه لي، فأنا أريد أن أفرغ من الموضوع كله مرة واحدة ولا أعود إليه بعد ذلك، ولا إلى غيره. . .

أستطرد لأقول:

إن وجود الظاهرة في التاريخ والدنيا والعلوم الحديثة شيء وتحبيذها والاقرار بها والدعوة إليها شيء آخر.

وربما كان قصارى ما نستطيع أن نفعله حيال الاغتيال السياسي أن نفهم بحدسنا دوافع أصحابه، لكننا لا نستطيع بعقولنا إلا أن نرفض منطقه، وإلا أن نترك القانون الذي يحكم أي مجتمع يأخذ مجراه ويفرض أحكامه إلى آخر الحدود.

ليس ذلك احتراماً لحق القانون ولحق المجتمع الذي ارتضى القانون، ولكنه أيضاً ـ وفي جزء منه ـ احترام لحق الدافع إلى الاغتيال السياسي ذاته، وهذه نقطة حساسة أرجوك أن تسمح لي بشرح وجهة نظري فيها، ولك بالطبع أن تختلف معي أو تتفق.

دعنا نتأمل الفارق الدقيق بين القتل العادي وبين الاغتيال السياسي:

● القتل العادي هو حكاية انسان يقتل إنساناً آخر لدافع شخصي، طمعاً أو ثأراً، أو دفاعاً عن النفس أو العرض أو لغير ذلك من الدوافع.

وأما الاغتيال السياسي فحكاية أخرى. الدافع الشخصي فيها ليس وارداً على الاطلاق. بل إن الفاعل والمفعول به كلاهما لا يعرف الآخر في معظم الأحيان، بل في كلها. وربما كان لقاؤهما الأول وجهاً لوجه هو لحظة المقادير الدامية نفسها.

الدافع وراء القتل العادي ـ إذن ـ دافع شخصي.

والدافع وراء الاغتيال السياسـي دافـع من نوع آخـر. . . فكرة أو يقين لدى صاحبه، وهو مخطىء في التعبير عنه بالتأكيد، لكن ذلك لا يجرده من كونه فكرة ويقيناً استقر في أعماق الأعماق لدى صاحبه وملك عليه حواسه كلها إلى درجة جعلته يقرر بنفسه ولنفسه: إنه مستعد لكي يضحي بحياته هو في سبيل انهاء حياة رجل آخر!

هذه هي النقطة المركزية في قضية الاغتيال السياسي.

بل لعلي أجازف وأقول أن هذه «القيمة» الواحدة والوحيدة في قضية الاغتيال السياسي المعقدة والمأساوية.

هذه «القيمة» الواحدة والوحيدة هي أن رجلاً بدافع فكره ويقينه وجد نفسه على استعداد للتضحية بحياته هو في سبيل اغتيال حياة أخرى يعلم مقدماً أنها محاطة بالحراس من كل جانب، محمية بالقانون في كل مادة!

إذن فإن الاستعداد للتضحية بالنفس في سبيل فكرة أو يقين يكون هو الخطوة الأولى في الاقدام على الاغتيال السياسي، وهذا هو الفـارق بين القتـل العـادي والاغتيال السياسي، حتى إذا قلنا ـ والقول صحيح ـ أن كلاهما في نظر المجتمع والقانون جريمة.

أكرر مرة أخرى:

«القيمة» الواحدة والوحيدة في قضية الاغتيال السياسـي هي السبـب العـام ـ الفكرة واليقين، مع التسليم بأن التعبير عنهما خاطىء. ثم هي في نفس الوقـت الاستعداد المسبق للتضحية بالنفس قبل الاقدام على عمل ضد الغير.

يترتب على ذلك ـ من وجهة نظري ـ أن أية محاولة لالتماس الأعذار أو لطلب الرأفة أو لما هو أكثر في قضية الاغتيال السياسي، تغتال بدورها «القيمة» الواحدة والوحيدة في قضية الاغتيال السياسي. تحولها ببساطة من قضية اغتيال سياسي إلى جريمة قتل عادي ارتكبها أحد الناس أو بعض الناس تحت تصور أنهم يستطيعون تفادي العواقب في حماية قوة قادرة. أو عطف رأي عام مؤثر!

هكذا ترى أنني من موقف مبدئي:

أولاً ـ لا أحبذ ولا أقر ولا أدعو إلى الاغتيال السياسي لأي سبب أو تحت أي ظرف.

ثانياً ـ إنني لا أتصور أن هناك حكماً في قضية الاغتيال السياسي غير حكم القانون وحده، وإلى آخر الحدود.

ثالثاً ـ إن ذلك ليس حق المجتمع والقانون فقط، بل إنه «حق» صاحب الفعل ذاته وإلا تحولت الفكرة واليقين في دوافعه ـ مع التسليم بخطأ التعبير عنهما ـ إلى جريمة قتل عادية!

لعلي استطعت أن أشرح ما قصدت إليه.

أريدك أن تعرف أن هذه النظرة إلى قضية الاغتيال السياسي ليست جديدة بالنسبة لي، ولم تصبح رأيي بعد أن بلغت الثامنة والخمسين.

كان ذلك هو نفسه رأيي في فجر الشباب سنة ١٩٥٦، أي منذ ست وثلاثين سنة!

لم تكن أنت معنا وقتها، ولكنني أرجوك أن تسأل من تعرف من زملائنا المخضرمين والذين كانوا معنا في ذلك الوقت في الدار الصحفية التي كنا نكافح أيامها لكي نبنيها ونثبت دعائم بقائها، وهي والحمد لله ما زالت حية إلى الآن.

في تلك الأيام ـ نهاية سنة ١٩٤٦ وبداية ١٩٤٧ ـ كانت قضية اغتيال «أمين عثمان (باشا)» قضية تشغل الأذهان وتستحوذ على اهتمام الرأي العام بأسره.

أيامها أقدم نفر من الشباب على اغتيال «أمين عثمان (باشا)» لأنه قال في خطاب عام له «أن العلاقة بين مصر وبريطانيا أبدية كالزواج الكاثوليكي!».

من جانبهم ـ هذا النفر من الشباب ـ اعتبروا هذا القول من «أمين عثمان (باشا)» استفزازاً لمشاعرهم الوطنية لا يستطيعون قبوله، ومن ثم قرروا ونفذوا خطة لاغتيال «أمين عثمان (باشا)»، وقتلوه فعلاً.

أكثر من ذلك فإن نفس النفر من الشباب ـ إلى جانب نفر من مجموعة أخرى ـ قرروا اغتيال «مصطفى النحاس (باشا)» زعيم الوفد المصري لما تصوروه من دوره في حادث ٤ فبراير سنة ١٩٤٢.

النفر الأول من الشباب حاولوا باطلاق الرصاص على «النحاس (باشا)» ولم ينجحوا.

والنفر الثاني من المجموعة الأخرى حاولوا تفجير سيارة معبأة بالديناميت في الشارع الملاصق لبيته وتحت نافذة غرفة نومه ـ لكنه نجا من المحاولة بشبه معجزة!

لعلك تذكر أن الرئيس الراحل أنور السادات كان مشتركاً مع المجموعتين.

ثم إنه اشترك بنفسه أيضاً ـ وكما هو ثابت في وثائق رسمية ـ مع مجموعة النفر الثاني من الشباب الذين حاولوا ولم ينجحوا في اغتيال «مصطفى النحاس (باشا)».

وقتها ـ وأرجوك أن ترجع إلى الملفات وحتى إلى قصاصات الصحف القديمة ـ كانت هناك محاولة في بعض الحق لتصوير الاغتيال السياسي ـ الذي نجح مع «أمين عثمان» ولم ينجح مع «مصطفى النحاس» ـ على أنه عمل من أعمال البطولة، وجرت عملية إعلامية واسعة لاضفاء مسحة من «الواجب المقدس» على المحاولتين.

أكثر من ذلك أنه جرت محاولة لتهريب المتهم الأول في قضية الاغتيال وهو «حسين توفيق» من السجن. وتمت عملية تهريبه فعلاً باشتراك ضباط من الحرس الملكي تلقوا أوامرهم من دوائر القصر العليا.

كان القصر الملكي ورجاله ـ وعلى رأسهم أحمد حسنين (باشا) رئيس الديوان الملكي ـ قد اعتبروا حادث ٤ فبراير ١٩٤٢ إهانة مذلة للملك وللعرش. ومع أن

القصة الكاملة لحادث ٤ فبراير ١٩٤٢ تحتمل الكثير من التأويلات والتفسيرات، إلا أن القصر - وعلى رأسه أحمد حسنين (باشا) - كان مصمماً على الانتقام:

● من «مصطفى النحاس» الذي قبل الوزارة من السفير البريطاني - كما قيل وقتها.

● من «أمين عثمان» الذي اعتبر صلة الوصل بين رئيس الوفد المصري والسفير البريطاني.

من هنا جاء الوحي بالهالة الوهاجة قاموا باغتيال «أمين عثمان» وحاولوا اغتيال «مصطفى النحاس».

أردت بهذا الاستطراد تنشيط ذاكرتك لأيام لم تكن معنا فيها، لكن المهم، وهو ما أقصد إليه الآن، هو أنني في ذلك الوقت، وبمقدار ما كان لي في الدار الصحفية التي كنت أعمل بها، وقفت مخالفاً ومعارضاً لمحاولة التغطية العاطفية والحماسية على قضية اغتيال سياسي وما زلت حتى هذه اللحظة أشعر برجع صدى حالة الأسى التي كنت أشعر بها عندما تمت عملية تهريب «حسين توفيق» المتهم الأول في قضية اغتيال أمين عثمان إلى سوريا بنفوذ القصر الملكي وبتدبير رجاله وبتنفيذ ضباط حرسه.

وكان بودي لو أن زميلي وصديقي الحبيب «كامل الشناوي» - الذي حضر معنا وشارك في مناقشات طويلة مضنية - كان حياً بيننا لا يزال لكي يروي اليوم وبأسلوبه التصويري، المبدع والفريد، قصة ذلك الخلاف المبدئي والمهني الذي جرى داخل الدار التي جمعتنا في أحلى أيام الشباب وقتها

وكان رأيي في تلك الأيام، وما زالت عالقة بذاكرتي حتى الآن نقاطه، كما يلي:

١ - إنه من الخطأ أن يجري التهليل لعملية اغتيال سياسي مهما اختلفت الآراء أو تباينت حول الدوافع أو حول الأشخاص.

٢ - إنه من الظلم لـ «حسين توفيق» أن يجري تهريبه إلى سوريا بواسطة الحرس الملكي، فذلك يحوله إلى مجرد قاتل مأجور لا أكثر ولا أقل.

٣ ـ إن التكريم الحقيقي لـ «حسين توفيق» ـ إذا كان هناك داع للتكريم ـ هو حكم القانون وحده، وإلى آخر الحدود.

من سوء الحظ أن السياسة وقتها غلبت على الحق... بل وأكاد أقـول إنها غلبت على القانون حتى في معقل القانون.

وتلك قصة أو قصص أخرى... لكن ما يهمني الآن هو أن أقول لك إن رأيي في قضية الاغتيال السياسي من الألف إلى الياء واضح منذ البداية... واضح حتى الآن، أو هكذا أتصور!

أعود بك ـ وباذنك ـ إلى الموضوع الأصلي الـذي ثارت من حولـه ـ أو من حولي! ـ هذه العاصفة الأخيرة.. عاصفة في فنجان قهوة كما أقـول، وليس في فنجان شاي كما يقول التعبير المشهور!

ذلك الحديث الذي أدليت به للـ «صنداي تيمس» ونشرته على اتساع صفحة بأكملها!

أمامي الآن هذا الحديث وأنا أكتب إليك هذه الرسالة، وتحت نظـري نصـه كاملاً من المقدمة التي قدمته بها الصحيفة البريطانية الكبرى ـ وهي مقدمة يمنعني الحياء من الإشارة إلى ما حوته ـ إلى آخر حرف، بما في ذلك العناوين الـرئيسية والفرعية فيه.

أمامي أكثر من ذلك وأنا أكتب اليك هذه الرسالة.

أمامي نصوص أحاديث أخرى غيره في كل صحف العالم الكبرى تقريباً وعلى أمواج كل اذاعاته المؤثرة والواصلة إلى أرجاء المعمورة الدانية والقاصية.

وأمامي عشرات غيره من الأحاديث مع صحف ومجلات عربية، كان كلامي في العديد منها موضوع اليوم الرئيسي، وكان ما قلته هو موضوع الغلاف وصورته.

أمامي هذا كله أقرؤه وأعيد قراءته.. أراجعه ثم أراجعه مرة أخرى.

لا أجد عبارة واحدة أو كلمة واحدة تسيء إلى مصر أو تسـيء إلـى شعبهـا.

بالعكس كل عبارة وكل كلمة ـ في كل ما أدليت به من أحاديث خلال ثلاثة أسابيع قضيتها في لندن في مباحثات مع مجموعة الناشرين التي تنشر كتبي في العالـم ـ معبأة على الآخر إيماناً بمصر وولاء لشعبها وقضاياه.

ومع أنني لا أجد في ذلك ما يستحق أن أهنىء نفسي عليه أو أتقبل التهنئة فيه من غيري ـ لأنه شعوي الحقيقي قبل أن يكون واجبي ـ لكني لا أستطيع أن أمنع نفسي من الدهشة أن تبلغ الجرأة بالبعض إلى هذا الحد الذي يجري فيه تحويل الحق إلى باطل بنقطة حبر!

(لاحظ أنني استعملت تعبير الجرأة ولم أستعمل غيره وكان ذلك سهلاً لولا أنني تعلمت طول عمري أن الانسان حيوان متحضر وهو متحضر لأنه مهـذب بكل ما يعنيه التهذيب من معان وقيم وسلوك).

أمامي هذا كله كما قلت لك، حديث «الصنداي تيمس» وعشرات غيره.

لا أجد فيه ولا فيها ـ كما قلت لك ـ عبارة أو كلمة واحدة تسيء إلى مصر أو شعبها.

وأكثر من ذلك.

لا أجد فيه كله، في أي كلمة أو عبارة مظنة تحامل أو تجاوز في حق الرئيس الراحل أنور السادات.

دعني أذكرك بواقعة صغيرة أظنك تعرفها.

بعد أن أفرج عني من السجن ضمن من أفرج عنهـم في الدفعـة الأولـى من المتحجزين ـ ! ـ لقيت السيدة الكريمة أرملة الرئيس الراحل أنور السادات لقيتها معزياً ومواسياً.

أنت تعرف أنني اختلفت مع الـرئيس الـسادات سياسياً ولكنـك تشهـد أنـني حاولت بكل جهدي أن أعزل ما هو سياسي عما هو إنساني.

هكذا ظلت عاطفتي تجاه أسرته بمنأى عن أي خلاف.

ظلت هناك مزايا كثيرة في قرينته ـ بينها الذكاء اللامع ـ أقدرها بدون تحفظ.

وظلت بيني وبين بناته الثلاث وابنه الوحيد منها ـ وهم كل من عرفت عن قرب من أسرته ـ علاقة ود لم أنكره في يوم من الأيام.

وليس هناك ما يدعوني إلى أن أقول ذلك اليوم ما لم يكن هو فعلاً ما أشعر به. . فلست بين أولئك الذين يتركون مشاعرهم ومبادئهم لسلطان الرياح تحولها مع الاتجاه السائد مرة على الأقل كل يوم.

حين لقيت السيدة الكريمة أرملة الرئيس الراحل أنور السادات تفضلت فطلبت مني في نهاية لقاء طال أكثر من ساعتين ـ طلباً واحداً ما زالت في أذني نبرته الرقيقة والواعية:

ـ محمد. . إنك لن تهاجم انور؟

وقلت لها بصدق وصراحة:

ـ إنني لم أهاجمه على الاطلاق، إنني اختلفت مع سياسات ولم أختلف مع شخص، ولك أن تثقي أنني لن أقول عن هذه السياسات في غياب صاحبها غير ما كنت أقوله عنها في حضوره.

وأضفت:

ـ أخشى أن الهجوم سوف يأتي، ولن يكون من جانبي ولكن من جانب آخرين.

ولم أزد حرفاً. وكانت الصحف وقتها ملأى تلميحاً وتصريحاً بغمزات وصلت إلى حد التشكيك في السلامة النفسية والعقلية للرئيس الراحل.

أعترف لك ـ ومرة أخرى ليس هناك ما يجبرني على هذا الاعتراف لو لم يكن تعبيراً حقيقياً عن دخيلة نفسي ـ أنني لم أشعر بكراهية في أي وقت من الأوقات ضد أنور السادات، حتى عندما وضعني في السجن وفي ظروف تفوق في سوئها ما يمكن أن يحتمله البشر، وأستشهد في ذلك بزملاء في التجربة كانت لهم فيها سوابق في عهود مضت، وبالتحديد الأستاذ الكبير محمد فؤاد سراج الدين والأستاذ

الكبير محمد فتحي رضوان والأستاذ الكبير عبد الفتاح حسن. هذا إلى جانب جيل آخر من الشباب المخضرم الذي عاشر تجربة السجون وبينهم الدكتور فؤاد مرسي والدكتور اسماعيل صبري عبد الله والدكتور جلال رجب، وكلهم وغيرهم دخلوا السجن مرة ومرات قبلها، ولكنهم جميعاً كانوا يرون هذه المرة بكل المرات جميعاً.

ولم أشعر بكراهية نحو أنور السادات، ولم أخجل من أن أعترف أن الدموع كانت في عيني عندما سمعت نبأ وفاته، وكان ذلك رد فعل إنساني وطبيعي رآه - وربما استغرب له - مأمور السجن ومندوب المباحث إلى جانب رفاق الزنزانة رقم ١٧ التي كنت وراء قضبانها قرابة ثلاثة أشهر.

لم أشعر بالكراهية لأنني أستطيع أن أفرق بين ما هو سياسي وبين ما هو إنساني،وحتى إذا خلطغيري بين الاثنين فلقد كنت حريصاً على ألا أكون من الذين يخلطون.

أرجوك مرة أخرى أن تفسح لي صدرك وصفحات المصور وصبر قرائه لكي أقول ما أريد قوله مرة واحدة ثم أسكت تاركاً المجال لكل هؤلاء الذين أراهم اليوم كراكبي الدرجات، إما أن يتحركوا أو يقعوا على الأرض.. وهم لا يتحركون وإنما يتكلمون. والكلام - أي كلام - هو المبرر الوحيد لوجودهم - لا أقول وقوفهم لأني لست واثقاً أنهم واقفون!!

لا أريد - بعد ما قلت عما هو انساني - أن أتركك لحظة في شك من أمر ما هو سياسي.

نعم لقد كنت مختلفاً مع الرئيس الراحل أنور السادات.. ونعم لقد بلغ خلافي معه درجة القطيعة الكاملة، ومع ذلك قلت مرة - وما زلت أقول إلى الآن - إنني في دهشة من تناوله لي في كل خطاب تقريباً مع أنه كان يعلم أنني لا أملك حق الرد، ومع أنه كان يعرف أنني - وأنا أعيش حياتي كلها في مصر - أقع تحت سلطانه المطلق وغير المحدود.

كان خلافي مع الرئيس الراحل أنور السادات في كل شيء تقريباً. أقولها مع الأسف!

١ ـ اختلفت معه في فك الارتباط الأول، وكان رأيي أن تلك العملية ـ في نهاية ١٩٧٣ وبداية ١٩٧٤ ـ لن تؤدي إلى سلام في المنطقة وإنما إلى صلح منفرد بين مصر واسرائيل. وقلت ذلك فيما كتبته في الأهرام وقتها أسبوعاً بعد أسبوع. وكانت تلك هي النقطة التي افترقت عندها الطرق. ولم يكن ذلك خياراً سهلاً بالنسبة لي قوتها فقد كنت واثقاً أن ما أكتبه سوف يؤدي إلى خروجي من الأهرام وإلى ابتعادي ربما نهائياً عن المهنة في مصر. لكن الخيار مع صعوبته كان ضرورة لا مفر منها: أن تخرج من مهنة أسهل من أن تخرج عن مبدأ!

٢ ـ اختلفت معه في سياسة الانفتاح، وكان رأيي أن تلك السياسة سوف تؤدي إلى خلل اقتصادي واجتماعي سوف تكون له عواقبه الوخيمة على مصر. وأخشى أن ما تخوفت منه تحقق، وكان مناي لو أثبتت التجارب خطأه. يكفيك أن مصر التي تولى رئاستها أنور السادات كانت مدينة للعالم الخارجي بألفي مليون دولار، معظمها للاتحاد السوفيتي وتدخل ضمنها كل اتفاقيات التصنيع وبناء السد العالي، إلى جانب صفقات السلاح، وبعد أكثر قليلاً من عشر سنوات فإن مصر التي تولى أمورها حسني مبارك كانت مدينة للعالم الخارجي بأكثر من عشرين ألف مليون دولار وذلك غير صفقات السلاح من الغرب والتزاماتها!

٣ ـ اختلفت معه في سياسته تجاه الولايات المتحدة، وأنا الذي كنت ـ ولا أزال ـ أدعو إلى تحييدها. لكن تحييد الولايات المتحدة شيء، وما حدث في علاقاتنا معها شيء آخر.

٤ ـ واختلفت معه في سياسته تجاه الاتحاد السوفيتي، وأنا الذي كنت أقول أن الاتحاد السوفييتي مستفيد من حالة «اللا سلم واللا حرب». لكن ذلك لا يمكن أن يحجب حقيقة أن علاقة ود وصداقة مع الاتحاد السوفييتي هي ضرورة أساسية لحرية حركة مصر، بل ولتنمية مصر بشهادة بناء السد العالي، وأكثر من ذلك لأمن مصر بدليل أن كل مسمار في معداتنا التي حققنا بها ما حققنا في حرب اكتوبر كان سوفييتي الصنع!

٥ ـ وأهم من ذلك، فقد اختلفت معه في سياسته العربية، وكان رأيي ـ ولا

يزال ـ أن أي سياسة تؤدي إلى عزل مصر عن العالم العربي، أو عزل العالم العربي عن مصر ـ هي إنكار للثوابت التي تقوم عليها استراتيجية أي أمة من الأمم، وهي ثوابت الجغرافيا والتاريخ والحضارة المشتركة.

٦ ـ وأخيراً فقد اختلفت معه في الطريقة التي تعامل بها مع «جمال عبد الناصر» والتجربة الناصرية كلها.

لقد كانت للتجربة الناصرية اخطاؤها ككل تجربة انسانية، ولكن هذه التجربة العظيمة في مصر كانت ـ وما زالت ـ في رأيي أعظم تحول شهدته المنطقة في العصر الحديث على كل مستوى اجتماعي وسياسي وفكري.

وربما كان لازماً اعادة تقييم التجربة واستخلاص ايجابياتها لكن ذلك لم يحدث، وكانت تلك مأساة لمصر وللأمة العربية ومأساة لأجيال حكم عليها بفقدان الذاكرة وفقدان الحلم!

لا أريد أن تتصور أنني أترك الحبل لقلمي على الغارب أدعي بما لم يحدث وأستشهد بالأموات واثقاً أن صمت القبور يمنعهم من الرد علي وتصحيح ما أقول.

أرجوك أن تسأل السيد ممدوح سالم ـ متعه الله بالصحة والعافية ـ فيما قلته له يوم دعاني متفضلاً إلى لقائه في يوم الجمعة الحادي عشر من ابريل سنة ١٩٧٥ ـ أي بعد أكثر من سنة من خروجي من الأهرام مؤثراً مفارقة المهنة على مفارقة المبدأ ـ لكي يعرض علي أن أكون نائباً لرئيس الوزراء للاعلام في الوزارة التي كلف بتشكيلها في ذلك الوقت.

كان الرئيس أنور السادات قبلها بيوم واحد ـ يوم الخميس العاشر من ابريل ١٩٧٥ ـ قد دعاني إلى مقابلته في استراحة القناطر وقال لي إن السيد ممدوح سالم الذي كلفه برئاسة الوزارة قد التمس منه ابلاغي برغبته في أن أكون نائباً لرئيس الوزراء ضمن تشكيلته الجديدة.

وأبديت اعتذاري للرئيس على الفور، لكنه أبدى الغضب قائلاً: «ألا تعطي نفسك فرصة للتفكير؟».

وصباح يوم ١١ ابريل اتصل بي السيد إسماعيل فهمي ـ متعه الله بالصحة والعافية أيضاً ـ وأبلغني أن رئيس الوزراء المكلف السيد ممدوح سالم يرغب في لقائي في الساعة السادسة من بعد ظهر اليوم في مكتبه بوزارة الداخلية.

وذهبت إلى الموعد، واستمعت عارفاً بالفضل للعرض، ثم قدمت اعتذاري لرئيس الوزراء المكلف وأبديت له الأسباب.

تلك الأسباب هي نفس الأسباب التي سقتها لك قبل قليل، لا تنقص ولا تزيد.

صحيح.. كانت رقعة الخلاف واسعة كما ترى، ولكن صدقني أن الخلاف على اتساعه من جانبي لم تلحقه شائبة كراهية.

لقد اعتبرتها اختلاف اجتهادات واتجاهات، وليس مدعاة حملات أو اتهامات. قلت ذلك وكررته، وفي وجود الرئيس الراحل نفسه، دون أن أتجاوز قدري أو أتجاوز قدره كرئيس لمصر وكسلطة دستورية لها وحدها القرار.

تحمل معي بعض الشيء، سعة صدرك، وصفحات المصور، وصبر قرائه!

أعرف أنني أطلت وربما شردت طويلاً وبعيداً، ولكن ذلك كله مهم لأنه يضع الأمور في نصابها. إن كل ما أدليت به من أحاديث خلال ثلاثة أسابيع قضيتها في لندن لمسة في صورة.. أو قل إنها نقطة على طريق، ومن سوء الحظ أنه ليست لدي هليكوبتر لكي أحط على نقطة بعينها من طريق طويل، وإنما لا بد ـ بشكل أو بآخر ـ من أن أبدأ من البداية.

لم يكن هناك في البداية خلاف بين الرئيس الراحل أنور السادات وبيني لأكثر من ثلاث سنوات كان بيننا حوار متصل، اختلفنا واتفقنا، ولكن القرار كان دائماً قراره بالطبع لأنه وحده المنتخب من الشعب، وهو دستورياً رأس سلطة القرار في الدولة.

لم أتوقف عن الحوار رغم أنه غضب أحياناً، ولكني لم أفزع وإنما قلت له بمودة:

ـ إنني معك كما كنت مع جمال عبد الناصر، لا أخاف منك لأنني أحبك. . والذي يحب لا يخاف، والذي يخاف لا يحب.

قلتها له ـ صدقني ـ عشرات المرات من أول يوم في ولايته ـ على حد تعبيره ـ إلى آخر لقاء لي معه حين اعتذرت سنة ١٩٧٥ عن تأييد فك الارتباط الثاني وملحقاته السرية.

أنت نشرت في المصور أجزاء من كتاب الرئيس جعفر نميري عن السادات، ولقد شهد هو في هذا الكتاب أن الرئيس الراحل أنور السادات قال له: إنني كنت الوحيد الذي وقف معه في ١٤ مايو ١٩٧١.

لقد جاءت الشهادة منه، يرحمه الله، وعلى لسان جعفر نميري وهي شهادة حق أعتز بها.

هل أقول لك ما هو أكثر؟

سوف أسمح لنفسي ـ ما دام صدرك وصفحات المصور وصبر قرائه جميعاً تسمح لي ـ أن أقول ما هو أكثر، والشاهد حي قادر على شهادة الحق.

يوم ١٣ مايو ١٩٧١، وكان الرئيس الراحل يستعد لتسجيل خطابه إلى الأمة يشرح فيه قصته مع من سموا في ذلك الوقت بـ «مراكز القوى»، كنت معه في مكتبه في قصر القبة ومعنا السيد حسين الشافعي نائب رئيس الجمهورية في ذلك الوقت.

كان المقرر أن يكون الحديث مرتجلاً.

وشرح الرئيس أمامنا ـ السيد حسين الشافعي وأنا ـ ما ينوي أن يقوله عند بدء التسجيل. ولاحظت أنه يركز تركيزاً شديداً على أن خلافه مع الآخرين كان سببه أنهم منعوه من التفاوض مع «ويليام روجرز» وزير الخارجية الأمريكية الذي كان يطوف بالمنطقة وقتها.

وأتذكر أنني قلت له، بالحرف، وأنقل الآن عن مذكرات كتبتها يومها:

ـ سيادة الرئيس. . الناس لا يهمهم إذا كانوا منعوك أو لم يمنعوك من المفاوضة مع روجرز. إن هناك قضية أخرى تسبق غيرها من القضايا الآن في ضمير الناس كل

الناس وهي قضية الديمقراطية. هذه هي النقطة التي أتصور أن يتركز عليها كل خطابك الآن.

ورحت أجادل الرئيس حتى أقتنع في النهاية بألا يشير على الاطلاق إلى حكاية منعه من التفاوض مع «روجرز»، ويركز بالكامل على قضية الديمقراطية.

وجرت مياه كثيرة تحت جسور النيل وفي قناة السويس حتى بدأ الإعداد لحرب اكتوبر، وكنت إلى جانب الرئيس الراحل في الإعداد السياسي والاعلامي للمعركة، حتى أنه تفضل وعهد إلي بكتابة التوجيه السري الصادر منه إلى القائد العام للقوات المسلحة بتحديد أهداف المعركة والغرض المطلوب تنفيذه بالقوة المسلحة لصالح الاستراتيجية السياسية العامة لمصر وللأمة العربية حين كتبت ذلك التوجيه بخطيدي أخذه الرئيس إلى أحد سكرتيري مكتبه وطلب دقه على الآلة الكاتبة لكي يوقعه ويسلمه بيده إلى الفريق أحمد اسماعيل علي. وبلغ من حرص الرئيس على السرية أنه بنفسه أغلق غرفة في بيته على سكرتير الآلة الكاتبة وتركه فيها حتى بدأت المعركة بعدها بأيام.. ثم بنفسه أطلق سراحه وأمر بمنحه علاوة استثنائية.

تسألني ما هو الدليل؟

سألني هذا السؤال قبلك السيد أنور حبيب المدعي الاشتراكي السابق حين حقق معي بتهمة «الإساءة إلى مصر» - أيضاً! - سنة ١٩٧٨، وكان ردي عليه هو دعوته إلى أن يقرأ هذا التوجيه ويتأمل أسلوبه. وسوف يكتشف أنني كاتبه لأن أسلوب أي كاتب مثل بصمات الأصابع، دليل لا يمكن تكذيبه ولا يسهل فيه التزييف.

كان ذلك في حياة وسلطة الرئيس أنور السادات.

إلى هذه الدرجة - إذن - كانت العلاقة وكانت الثقة.

لم تكن علاقة سهلة، ولا كانت ثقة على بياض.

إنك تعرف بالتأكيد، وبتجربتك الخاصة، شيئاً عن علاقة الصحافة بالسلطة في العالم الثالث.

إنك سمعت رأيي كثيراً في قضية الشرعية كلها في العالم الثالث. وأنت تعرف أننا جميعاً نعيش مرحلة انتقال، شرعية مؤقتة نتحرك فيها من الشرعية التقليدية ذات الأساس الديني أو القبلي ـ كما في السعودية والمغرب مثلاً ـ إلى الشرعية الدستورية والقانونية ذات الأساس الاقتصادي الاجتماعي الذي يكتمل فيه نمو الطبقات ومن ثم يصبح الحوار الديمقراطي ممكناً بين المصالح المختلفة لهذه الطبقات ـ كما في بريطانيا وفرنسا مثلاً.

شرعية مرحلة الانتقال ـ ونحن نمر بها وكذلك معظم دول العالم الثالث ـ شرعية مرحلية يبرز فيها دور الرجل الواحد. ذلك حدث في الغرب أثناء العملية الشاقة والدامية لنشأة «الدولة الأمة» في أوروبا ـ «كرومويل» و«نابليون» و«بسمارك» مثلاً. .

في هذه المرحلة هناك رجل واحد عند قمة سلطة القرار. . هناك وحدانية في سلطة القرار السياسي. .

الصحافة ـ كما تعرف ـ جزء من الحياة السياسية في أي بلد.

إذا كانت ظروف هذا البلد تسمح بتعدد السلطات، إذن فإن قيام صحافة مستقلة تماماً فيه يصبح إمكانية متاحة.

وأما إذ كانت«الوحدانية» هي طابع الحياة السياسية في هذا البلد، وبالتالي فإن تعدد السلطات مطلب أكثر منه حقيقة ـ إذن فإن ما يلحق بكل المؤسسات يلحق أيضاً بالصحافة هي جزء من الحياة السياسية، والخيار المطروح أمام الصحفي في هذه الحالة هو أن يكون طرفاً في الحوار الدائر حول القرار السياسي، أو أن يكون ذيلاً تابعاً لأي قرار.

أظنك تشهد لي أنني كنت طرفاً محاوراً لجمال عبد الناصر.

وكذلك فعلت بصدق مع أنور السادات بعده.

الغريب أنني في نفس مجموعة الأحاديث التي أدليت بها في لندن خلال وجودي فيها للأسابيع الثلاثة الماضية، حاولت أن أكون منصفاً مع أنور السادات.

قلت في أحد هذه الأحاديث:

إن الرجل الواحد في العالم الثالث يستطيع أن يرث السلطة أو يستولي عليها، لكن إرث السلطة أو الاستيلاء عليها لا يمنحها حق «الشرعية» وهو أهم وأخطر كثيراً من السلطة ذاتها.

قلت إن أنور السادات ورث السلطة من عبد الناصر لكنه أضاف اليها شرعيته، وكانت لهذه الشرعية قاعدتان بارزتان:

أولاهما: جرعة من الديمقراطية بعد ١٤ مايو ١٩٧١.

والثانية: حرب أكتوبر ١٩٧٣.

وقلت إن الأزمة الحقيقية وقعت حينما نسي الرئيس السادات بعض الملامح من قواعد شرعيته.

فمظنة الصلح المنفرد بين مصر واسرائيل أثرت فيما استمده من حرب أكتوبر.

ثم إن عمليات القمع منذ سنة ١٩٧٧ - إلى حملة الاعتقالات الأخيرة أثرت فيما استمده من جرعة الديمقراطية التي سمح بها سنة ١٩٧١.

الشرعية قضية معقدة، وهي في ظني أكبر بكثير من قضية السلطة.

تستطيع دبابة أو يستطيع كرسي أن يعطي الجالس فيها أو فيه سلطة، لكن الشرعية وهي - بصرف النظر عن كل تعقيدات الفقه الدستوري - مزيج سحري من القبول والتصديق والثقة المتبادلة بين الحاكم والمحكوم تحتاج - خصوصاً في شرعية مرحلة الانتقال.. شرعية مرحلة الرجل الواحد أو السلطة الواحدة - إلى انجازات حقيقية وإلى تجارب عامة مشتركة.

قلت ذلك في لندن أيضاً عن شرعية أنور السادات ورصدت انجازاته وأسس شرعيته.

بل قلت ما هو أكثر من ذلك في أحد الأحاديث:

قلت: «كان قرار وقف إطلاق النار يوم ٢٢ نوفمبر ١٩٧٣ من أعظم قرارات أنور السادات، رغم أنني خالفته فيه».

كان هو على حق، وكنت أنا على خطأ.

طلبت إليه أن يستمر القتال ولو ساعات حتى يصل مراقبو الأمم المتحدة، وقلت له: كيف يمكن أن نقبل القانون دون وجود القاضي الذي ينفذه؟

وكان رده:

ـ«سوف أوقف القتال لأني أريد أن أحتفظ بحجم انتصاري.. لا أريد أن تتمزق قواتنا المسلحة ولا أن يتأثر وجودنا في غرب قناة السويس».

وكان هو على حق، وكنت أنا على خطأ.

ذلك قلته في لندن أيضاً، وهو منشور ومطبوع.

قلت لك إنني لم أشعر في يوم من الأيام بكراهية للرئيس الراحل أنور السادات.

ودعني أسألك بأمانة:

ـ لماذا أكرهه؟

لقد قبلت قراره بإبعادي عن الأهرام، ولكن أرجوك أن تتذكر أن الرجل في نفس اللحظة التي أخرجني فيها من الأهرام أصدر قراراً بتعييني مستشاراً سياسياً له.

ولقد كنت أنا الذي اعتذرت عن قبول هذا المنصب، كما اعتذرت بعده عن قبول مناصب أخرى بينها منصب نائب رئيس الوزراء كما شرحت لك من قبل.

كان الرجل للانصاف يحاول جهده معي ولكن على شروطه هو بالطبع، ولم تكن لي شروط إلا أن أكون متسقاً مع نفسي ومع تاريخي ومع ما أؤمن به.

هل أقول لك شيئاً لأول مرة؟

أعتقد أن الرئيس السادات جلس معي أطول جلسة قضاها مع أي إنسان في حياته كلها.

كان ذلك يوم ٢٢ فبراير ١٩٧٥، وكانت علاقاتنا قد تحسنت بعد اعتذاري عن قبول منصب المستشار السياسي للرئيس وما أعقب ذلك من قطيعة دامت ستة أشهر تقريباً.

ولعلي ـ شهادة له ـ أقول لك الآن إنه كان الأكرم في السبق، فقد بادر هو ذات صباح، ومن وسط «القمر الأزرق» كما يقول التعبير الانجليزي، ودعاني إلى مقابلته في استراحة القناطر. . ثم تكررت لقاءاتنا حتى كان ذلك اللقاء الذي أشرت إليه قبل قليل يوم ٢٢ فبراير ١٩٧٥.

ذهبت إليه في ذلك اليوم ومعي الصحفي الأمريكي الذائع الصيت «سيروس سالزبرجر»، وقضينا معه نحن الاثنين ساعة، ثم تهيأنا للانصراف وكان «سالزبرجر» مدعواً على الغداء بعدها في بيتي.

واستوقفني الرئيس الراحل وسألني «الى أين أنت ذاهب»؟ قلت: «معه، فهو ضيف غداء عندي اليوم».

ورد الرئيس: «سوف أرتب من يدعوه بدلك على الغداء لأني أريدك معي هنا لحديث مهم».

ولم ينتظر الرئيس، بل استدعى الدكتور «أشرف مروان» مدير مكتبه للمعلومات وقتئذ، وطلب إليه أن يأخذ «سالزبرجر» إلى الغداء في أي مكان.

وصعدت مع الرئيس إلى الطابق الثاني من استراحة القناطر، وجلسنا نحن الاثنين في غرفة نومه. كانت الساعة الثانية عشرة ظهراً.

انتهى لقاؤنا في الساعة الحادية عشرة والنصف مساء.

أي أن حوارنا استمر إحدى عشرة ساعة ونصف الساعة.

تستطيع أن تسأل السيد «فوزي عبد الحافظ» سكرتير الرئيس الراحل، وتستطيع أن تسأل السيد «أشرف مروان» الذي عاد بعد غدائه الاجباري مع «سالزبرجر» ليعرض على الرئيس أوراقاً، فإذا هو ينتظر إلى منتصف الليل، وتستطيع أيضاً أن تسأل المهندس «سيد مرعي» فقد رجته أسرتي بعد أن نزل الظلام أن يتأكد من وجودي في استراحة القناطر مع الرئيس لأن طريق القناطر في الليل خطر لزحمة المرور عليه، وكان هناك قلق لغيابي إلى هذا الحد عن غداء كان معنا فيه ضيف. . . وسأل «سيد مرعي»، ثم كرر السؤال وعاد إليه حتى قرب منتصف الليل!

إحدى عشرة ساعة ونصف الساعة في حوار مستمر. لا يطول إلى هذا الحد غير حوار حقيقي، حافل ومتدفق.

لن أقول لك ما جرى فيه، فقد كنا وحدنا شهوده، وقد ذهب هو، وفي مجال الشهادة أمام التاريخ وحده أتكلم، وليس في مجال مساجلات العتاب.

المهم في هذا كله أنه ليس عندي ما يدعوني إلى كراهية الرجل.

بل لعلي أعتقد أنني مدين له. فإن خروجي من الأهرام منحني الفرصة لكي أثبت لنفسي وللآخرين أن الصحيفة العربية قد تصبح مملوكة للسلطة، ولكن الصحفي العربي ليس محكوماً عليه بالضرورة أن يكون مملوكاً للسلطة.. إذا كان لديه ما يقوله، وإذا كانت لما يقوله قيمة - إذن فالعالم الواسع مفتوح له.

ولقد خرجت من الأهرام، ولكنني استطعت أن آخذ مكاناً أعتز به على صفحات «التيمس» و«الصنداي تيمس»و«النيويورك تيمس» و«الواشنطن بوست»، وأرجوك أن تلاحظ أن هذه كلها هي الصحف الكبرى في الغرب حيث السياسات هناك أقرب ما تكون إلى خط الرئيس الراحل أنور السادات، أبعد ما تكون عن خطي أنا.

ومع ذلك دعني أحمد الله وأمسك الخشب كما يقولون.

وكنت أثناء وجودي في الأهرام قد كتبت كتاباً واحداً للسوق الدولية وبعد الأهرام فلقد أضفت إلى هذا الكتاب سبعة أشقاء جداً.

وصدقني بأمانة حين أقول لك إنني عندما خرجت من مبنى الأهرام آخر مرة ظهر يوم ٢ فبراير ١٩٧٤، كنت واثقاً أنني لن أعود إليه. لن أقبل العودة إليه مهما كان أو يكون.. لسبب أساسي ومبدئي.. هو أن عودتي سوف تكون بقرار.. ولقد قلت دائماً إن أي صحفي يستطيع أن يخرج بقرار من سلطة دون أن يفقد صفته الصحفية، ولكنه إذا عاد بقرار فقد الكثير مما كان لديه.. إن لم يكن قد فقده كله.

وفوق ذلك فإنه إذا كانت الصحافة في العالم كله - كما قلت - جزءاً من الحياة السياسية فيه، وإنه إذا كانت درجة التطور الاقتصادي الاجتماعي لهذا المجتمع

تسمح بالتعدد فيه، فهناك صحافة حرة. وأما إذا كانت درجة تطوره ما زالت في مرحلة وحدانية السلطة إذن فنحن أمام مشكلة معقدة.

إذا كان الصحفي مقتنعاً بالخط الاستراتيجي للسلطة فهذا شيء.

وإذا لم يكن.. إذن فقد تحول الطائر المحلق إلى طائر مقيد، وهو عقاب صعب لا أريده لنفسي مهما كانت درجة حبي للمهنة ودرجة ولائي لقراء تفضلوا علي بحسن ظنهم.

دعني أذكرك أنه حتى الصحافة فيها قضية «شرعية».. تستطيع أي سلطة أن تعطي أي محترف مقعداً وقلماً وورقاً ومطبعة. لكن هذا يعطيه جزءاً من قوة السلطة، ولكنه لا يسبغ عليه شرعية الكاتب.

الشرعية الصحفية هي أيضاً قضية قبول وثقة وتجربة مشتركة، إلى آخره.

السلطة تستطيع أن تعطي أي صحفي مكاناً. لكن الشرعية وحدها تعطيه «المكانة» وليس «المكان».

نصل الآن إلى بيت القصيد في الحكاية كلها، وهو حديثي إلى «الصنداي تيمس».

أرجوك أن تعرف أن الحديث عن عملية اغتيال الرئيس الراحل أنور السادات والذين قاموا بها لم يأخذ إلا قرابة عشرة سطور فقط، بينما الحديث كله يزيد على أربعمائة وخمسين سطراً تحدثت فيها عن عديد من القضايا المصرية العربية والدولية، وتحدثت فيها عن شواغلي الآن عندما سئلت فيها، وتحدثت فيها عن رأيي في سياسات الرئيس حسني مبارك وشخصيته، وفي هذا كله أجبت برأيي كمراقب للأحداث من بعيد لا يعبر إلا عن رؤيته هو للحوادث وللناس فقط لا أكثر ولا أقل.

في هذا الحديث وصفت الارهاب باسم الدين كـ «وحش»، وإن كنت قد أضفت وأنا أروي ذكريات مناقشة قريبة مع «هنري كيسنجر»: «إن وحش الارهاب الديني ـ فرانكشتين ـ هو وحش خلقوه لأنفسهم».

وهذا رأيي فعلاً مع الأسف.

وفي السياق الطويل الطويل للحديث نفسه، المنشور منه وغير المنشور، ورد ذكر عملية الاغتيال نفسها، وسألني «سيمون ونشستر» عن طول المحاكمة، وقلت له:

- «إنني لا أرى في طول المحاكمة ضرراً، وربما كان ما حدث من طولها هو الخير. فإن محاكمات الاغتيال السياسي قضايا لا تغلق ملفاتها بمجرد انتهاء جلساتها».

ثم أضفت:

-«لعله خيراً أن المحاكمة طالت، لأن هناك على مستوى الشارع المصري اعجاباً بخالد الاسلامبولي ورفاقه».

ثم رحت أشرح وجهة نظري لـ «سيمون ونشستر».

قلت له:

- في الاغتيال السياسي لا بد أن نفرق بين ثلاثة عناصر:

● أولها: العمل نفسه والفكرة الدافعة إليه (شرحت لك هذه النقطة بما يكفيك ويغنيني أن أعيد عليك مرة أخرى ما قلته لونشستر).

● العنصر الثاني: ضحية هذا العمل، أو الرجل الذي وجه إليه الفعل ذاته (شرحت لك رأيي في قضية الاغتيال السياسي عموماً، ومرة أخرى أظنني قلت فيما سبق ما يكفيك ويغنيني عن أن أعيد عليك ما قلته).

● العنصر الثالث: هو الطريقة التي تم بها العمل نفسه، وفي هذه النقطة فلقد قلت إنه بصرف النظر عن الموضوع - وأنا لا أصدر فيه «حكم قيمة» كما يقولون - فإن عملية التنفيذ كانت مشهداً لا شك في جسارته.

اترك العمل جانباً، وانس أهمية ضحيته، وتذكر فقط ذلك المشهد الدرامي والجو العام فيه وما وقع وكيف جرى. هو مشهد لا يستطيع أي مخرج سينمائي في

العالم أن يحلم به مهما شطح الخيال. جسارة لا تخطر على البال حتى في رؤى اللا معقول من أفلام مغامرات طرزان إلى أفلام مغامرات السوبرمان.

هذا المشهد الجسور ترك انطباعه بغير شك على الذين رأوه. وبالتأكيد فقد كان بينهم من أدان واستنكر، ومن غضب وتحسر. لكننا نكون منافقين في فهم الطبيعة البشرية نفسها إذا لم نقل أن جسارة العمل ـ بصرف النظر عن دوافعه وضحيته ـ كانت ملفتة للأنظار خصوصاً على المستوى العام. وأنا لا أتكلم هنا عن خاصة الخاصة، ولا عن هؤلاء الذين يصدق فيهم تعبير «لويد جورج» رئيس الوزراء البريطاني المشهور «بأنهم على استعداد لسلخ جلود بطون أمهاتهم لكي يشدوها طبلة يدقون عليها أناشيد أي سلطان».

في هذا الجو العام كله، وفي هذا السياق، نقل عني «سيمون ونشستر» قولي:

«حيث تذهب في مصر سوف تجد الناس يتحدثون عن الاسلامبولي رئيس جماعة الاغتيال باعتباره بطلاً شعبياً. . .».

ثم قلت مشيراً إلى ما كانت تنشره الصحف في لندن وقتها:

ـ«إن المحاكمة قد تحولت إلى محاكمة للسادات وليس لقتلته. وسوف يكون اليوم حزبنا في مصر إذا تم إعدامهم».

قلت ذلك ثم أضفت إليه بالحرف تحفظاً نشر بنصه:

ـ «إنني أقول ذلك كمراقب محايد. . . مجرد ملاحظ لما يجري».

وسألني «سيمون ونشستر»، وسؤاله منشور:

ـ «وهل سيجري إعدامهم إذا ثبت جرمهم؟هل سيصدق الرئيس حسني مبارك على الحكم؟».

وقلت، وردي منشور بالحرف:

ـ «أتصور أنه ليس لديه غير أن يصدق على الحكم إذا صدر».

قلت ذلك بغير تردد، وقلته وفي ذهني قضية الارهاب السياسي عموماً. وقضية

القانـون، وقضية حقـوق المجتمـع، بل وقضية حقـوق التضـحية بالنفس لدى الفاعلين. . إلى آخره.

ولست أرى حتى هذه اللحظة فيما قلته تجاوزاً على الحق أو الحقيقة.

أظن أن الاسلامبولي وجماعته كانوا في الشهور الأخيرة حديث كل الناس.

وأظن أن المحاكمة ـ بما حدث من وقائعها فعلاً ـ لم تكن محاكمة للمتهمين وحدهم.

وأظن أن هناك نوعاً من «البطولة الشعبية» يلقي بظله على المتهمين بالاغتيال بسبب جسارة ما فعلوه، بصرف النظر عن خطأ الفكرة أو أهمية الضحية.

وأظن أن هناك لحظة من الحزن سوف تعبر على أحـاسيس كثيرين في يوم التنفيذ.

(يا إلهي ! ! ـ مستعيراً تعبيراً مسرحياً شهيراً

يا الهي على النفاق السياسي والاجتماعي حين تغلبه الأهواء فيتجاهل حتـى طبائع النفس البشرية: أو حتى غرائزها!!

إن لصاً ـ مجرد لص ـ في أي بلد من بلدان العالم يكتسب نوعاً من «البطولة الشعبية» بسبب جسارته:

«بيجز» الذي خطط ونفذ عملية شبه عسكرية لسرقة ٥ ملايين جنيه استرليني من قطار سكة حديد ثم هرب وما زال هارباً حتـى الآن. . أصبـح بطـلاً شعبياً عنـد الانجليز.

«الخط» الذي اشتهر كمجرم جسور في صعيد مصـر ـ أصبـح شخصية شعبية تظهر حول مغامراتها أفلام سينمائية

وأكثر من ذلك «جي. آر.» الرجل الذي لا يتورع عن عمل ولا يتوقف أمـام عائق، في مسلسل التليفزيون المشهور «دالاس». كانت طبقة بعينها في مصر وما زالت ـ تتابعه بالاعجاب. . وحين ضرب بالرصاص على الشاشة فقط ظل أفراد

هذه الطبقة ليالي بعد ليال يتساءلون من الذي قتل «جي. آر» بطلهم الأثير، مع أنه كان نموذجاً مخيفاً للشر. لكنه كان جسوراً لا يتردد، وكانت جسارته هي مصدر «شعبيته» خصوصاً لدى الطبقات المدللة بالميراث أو بالانفتاح!

مع أن هذا كله لا يمكن أن يقارن بوقائع المشهد المأساوي ظهر يوم ٦ أكتوبر الأخير!

يا الهي مرة ثالثة!!)

وفي نهاية المطاف فلقد كان ذلك ما رأيته، وقلت بصراحة إنني رأيته كـ «مراقب محايد.. مجرد ملاحظ لما يجري» دون أن يكون ما رآه هو بالضرورة تعبيراً عن رأيه!

ولقد أكون مخطئاً فيما رأيت، لكنني وصفته بغير رياء.

عزيزي مكرم

هذا ما قلته وأنا أتحمل مسئوليته بالكامل، وفي كل الأحوال فهو بسياقه وبنصوصه أبعد ما يكون عما نشر وجرى على أساسه هجوم الآخرين وعتابك أنت الرقيق وعتاب آخرين أعتز برأيهم وأقدره، ومن سوء الحظ أن هؤلاء بنوا حكمهم ليس على أساس ما قلته فعلاً، ولكن على أساس ما قيل إنني قلته، خارج موضوعه وبعيداً عن سياقه.

وألخص لك رأيي ورؤيتي في النهاية.

١ ـ نعم أنا ضد العنف السياسي ـ قلت ذلك وما زلت أقوله ـ لا أحبذه ولا أدعو إليه ولا أحرض عليه.

٢ ـ العنف السياسي ـ والاغتيال من أعراضه ـ ظاهرة معروفة في التاريخ وفي الدنيا.

٣ ـ إن أي مجتمع في لحظة مساره الآني لا يملك تجاه العنف ـ مهما كانت دوافعه ـ سوى تطبيق القانون وإلى آخر الحدود.

٤ ـ إن «القيمة الوحيدة» والواحدة في العنف السياسي هي استعداد صاحبه للتضحية بنفسه أولاً. فإذا أخذت من تضحيته تحت أي سبب من العطف أو الرأفة أو التبرير ـ فإنك بذلك تحول فعلته من قضية تاريخية إلى قضية قتل عادية. . وهذه إساءة للفاعل قبل أن تكون إساء للمفعول به.

٥ ـ إن التقدير النهائي للاغتيال السياسي باعتباره قضية تاريخية هو للتاريخ وحده (ويدهشك على سبيل المثال أنني بعد دراسة طويلة للوثائق السرية لحادث ٤ فبراير ١٩٤٢ أجد نفسي عند تقدير يختلف عن تقديري له في الظروف التي خطط فيها الرئيس الراحل أنور السادات عملية اغتيال أمين عثمان التي نجحت، وعملية اغتيال مصطفى النحاس التي لم تنجح ـ وكان دافع المحاولتين، الناجحة والتي لم تنجح، هو دور الرجلين في حادث ٤ فبراير).

٦ ـ إنني لا أسمح لنفسي ـ لا لأسباب عامة ولا لأسباب خاصة، مع أن ذلك ليس وارداً ـ أن أهاجم الرئيس الراحل أنور السادات. لقد كنت على خلاف سياسي معه،وموضوعات هذا الخِلاف واضحة بينه.وأنا لا أقول في سياسات الرئيس الراحل أنور السادات غائباً غير ما كنت أقوله عن هذه السياسات وهو حاضر، في يده السلطان والصولجان.

عزيزي مكرم

ضغطت كثيراً على سعة صدرك، وعلى صفحات المصور، وعلى صبر قرائه.

فلتغفروا لي جميعاً. أنت والمصور وهم.

سلمت، وسلموا جميعاً، ومع كل التقدير والاحترام..

محمد حسنين هيكل

هذه هي اخلاقيات الخلاف السياسي

أشعر - ولست وحدي - أن صوتاً قد تخلف عن الحضور يسبقه اعتذار مقبول، ولكن لا سبيل لسماع صوته إلا باستنطاقه - عفواً - عبر حوار صحفي!!

وأدعي لنفسي أنني قريب منه مهما كان بعيداً ومحلقاً. هناك بيني وبينه هذا «الاقتراب النائي» الذي يضعني معه على خط عرض مهنة واحدة. خصامه للصحافة، مبعثه أنه «مجروح منها». ليكن هذا موقفه ولكن رأيه بالقطع يضيف للصورة بعداً ثالثاً. وفي بعض الأحيان يفتقد القارىء «قلماً» يقول كلمته، لأنه ليس مرتبطاً بكرسي يخاف عليه ويناضل سلباً أو ايجاباً من أجل البقاء عليه مدة أطول!!

ولست أتصدى للدفاع عن الأستاذ محمد حسنين هيكل، فهو يملك جيداً كل وسائل الدفاع عن نفسه، إذا كان فيما ينشره «لومة لائم». هو أيضاً يعرف خصومه ربما أكثر مما يعرفون أنفسهم. لكنه على حد تعبيره (بين كتبي ومقالاتي لا أجد فراغاً أضيعه في عتاب الناس أو عتاب الزمان)!!

مجلة صباح الخبر - ٢٥ مارس ١٩٨٢ - مفيد فوزي

ومن حق هيكل ألا يلتفت وراءه. ومن حقه أيضاً أن يختار زميلاً عمـل معه ويعتز به (مكرم محمد أحمد) ويخصه برسالة طويلة (من ٨ صفحات أي ٦٧٦٠ كلمة) تنشر على صفحات المصور ليوضح للرأي العام ما التبس علـى «البعض» فهمه من موقفه المحدد ـ غير المشوه ـ من جريمة المنصة! •

وعندما أذهب إلى هيكل «أستطلع» ما عنده، أكون قد قمت مهنياً بأداء دوري، ولست أذهب للحصول على حصة تموينية من أحاديثه الصحفية!!

إن تجاهل آراء هيكل ليست عنترية، فإذا لم نعرفها ـ في مصر ـ أطلت علينا من الصحف الأجنبية والاذاعات العالمية. وهيكل، فيما أعلم، من النادرين الذين لا يتخيلون حياتهم خارج مصر. وقد فرضت عليه الظروف أن يكتب خارج مصر يوم اختلف ـ في الرأي ـ مع الرئيس الراحل السادات. الآن تغير الطقس والمناخ، ومن البديهي أن يجد قلم هيكل طريقه للكتابة عن مصر من داخل مصر، فتسكت أو تهدأ زوابع الخماسين التى تهب محملة بالأتربة. وبالبلدي الذي لا يحتمل تفسيراً ثانياً (مصر أولى بأولادها).

وهيكل بعد كل هذا مواطن مصري يحمل الجنسية المصرية ويعيش تحـت سماء مصر ويملك قلماً ورأياً، حتى ولو كان بعيداً عن مواقـع القيادة. . ولعبـة الكراسي!!

. . . .

. . . .

هذا التمهيد، كان ضرورياً قبل أن أدخل في الموضوع وأنقل وقائع الحـوار بيني وبين هيكل ـ للمرة الثالثة ـ خلال الأشهر الثلاثة الأخيرة.

كان أن التقينا في الرابعة بعد الظهر في مكتبه. ومكتب هيكل يحتل غرفتين من

شقته المطلة على النيل المجاورة لفندق شيراتون، القريبة من بيت السادات، إحدى الغرفتين له، والثانية للسكرتيرة. وهيكل يدخل مكتبه في الثامنة صباحاً كما اعتاد.. وبكامل ملابسه.. وفي الثانية تماماً، يغادره ويعود إليه في الرابعة. وأمامه دائماً بطاقة زرقاء مكتوب عليها بالانجليزية /(Remember) أي تذكر وتضم «مواعيد اليوم» وما يجب أن يعمله ذلك الصباح!

المكتب هادىء. الأرضية موكيت أخضر فاتح. هناك جلد نمر ملون كأنه جاء من الغابة. ولقي قدره مصلوباً على الأرض. آية شريفة من القرآن الكريم ﴿ اقرأ باسم ربك... ﴾ تزين أحد الأركان، هدية من زوجته، والاية لم تفارق مكتبه في الأهرام. أزهار حمراء تتوسط «فازة» في قلب المكتب. وعلى الحائط ثلاث خرائط للعالم. وهناك موسيقى سوناتا شوبير تنبعث من أحد الأركان - بجواره - تبدو خلفية هامسة ومريحة، فهو إذا أراد الاستماع الى السيمفونيات تفرغ لها تماماً كانه يقرأ كتاباً هاماً. فهذا المعيار الرفيع في الموسيقى لا يجب أن يشاركه شيء آخر!!

واعترف أنها كانت المرة الأولى - خلال زياراتي له - التي ألقي فيها نظرة فاحصة على المكان.

وتسللت في الحديث. دون خطة مسبقة للحوار. لكني تسللت واخترقت. هو سمح بهذا التسلل المشروع، وأنا استثمرته!!

● **ربما كان سؤالي الأول عدوانياً. قلت لهيكل «خصومك يا سيدي يقولون إنك رجل تبحث عن «دور»، وإلا ما معنى هذه العواصف الرعدية التي تثيرها أحاديثك في الخارج؟**

■ خفض هيكل من صوت الموسيقى واشترك معنا في الحوار رفيقي الصامت المهذب «جهاز التسجيل» !!

قال هيكل: لقد أعطيت جهدي لثلاثة عصور، وفي هذا العصر الرابع، أوثر مخلصاً دور المراقب، مؤمناً من داخلي بأن تجربتي تعطيني الحق كمواطن مصري أن أقول رأيي في الوقت

الـذي أريد: فكيف يتصـورون أننـي أبحـث عن دور؟! هذه واحدة. والثانية لقد أعطيت مهنتي ما فيه الكفاية وأعطيت العمل السياسي مع جمال عبد الناصر وأنور السادات ما أشبعني تماماً. لقد رافقت عبد الناصر في أخطر رحلاته السرية وهذا شرف لي وثقة وكنت قريباً من السادات لأكثر من ثلاث سنوات، لقد استكفيت أدواراً، فكيف يتصورون أنني رجل أبحث عن دور؟

أظن أنه آن الأوان بحق لظهور وجوه جديدة تأخذ «دورها». وأنا بكل وضوح لا أبحث لنفسي عن دور في ساحة السياسة أو ساحة الصحافة.

أحياناً، أنظر إلى أوضاع الصحافة المصرية وأحمد الله كل صباح أنني بعيد. ومن العدل أن أقول أيضاً أنه لا بد أن هناك آخرين يشعرون بنفس شعوري ولكن في اتجاه عكسي. أي أنهم يحمدون الله أنني بعيد. وهذا حقهم ولا أجادلهم فيه. فلقد كان بينهم من تصور أن دوري طال. بأكثر مما ينبغي وأن دورهم قد آن أوانه مع أني أعتقد أنه ليس في مقدور أحد أن يحجب غيره!.

قلت لهيكل: قلت لي إنك قانع تماماً بدور المراقب.

إلى متى ستظل داخل حدود هذا المربع؟

قال «ألست القائل في أحد حديثيك معي يا راجل إنه بمقاييس النجاح والحسابات لن أعود إلى الوراء؟»

● **قلت: لماذا تصدر فرماناً تصادر به حركة الأيام والمتغيرات؟**

■ رد بايجاز: هناك حالة واحدة تجعلني أفكر في العودة للصحافة المصرية. ضع خطاً تحت كلمة «أفكر» لأكون أميناً مع نفسي وهي التصريح باصدار صحف جديدة. فاذا سمحت الظروف ـ وأظنها لا تسمح الآن ـ سوف أصدر (جرنال) في ٢٤ ساعة!!

رددت وراءه كلمة «وأظنها لا تسمح». ففهم هيكل أنني أريد أن استوضحه رأيه. فقال ـ نعم اعلم أن الظروف الموسوعية لا تسمح ـ الآن ـ باصدار صحف جديدة. يا ريت تسمح! يكفي أن تصدر الأحزاب القائمة فعلاً، صحفاً تعبر عنها

وأبعد من هذا يصبح مطلباً غير عادل. وفي هذه المرحلة بالذات! أنا أشعر أني «مسئول». أسارع وأشرح لك معنى الكلمة حتى لا يلتبس الفهم على البعض. أنا مسئول لأني أشعر جيداً بأوضاع البلد. وليس بالضرورة أن أكون في موقع ما. إن حديثي عن اصدار صحف جديدة يظل عندي في مرحلة الحلم أو دائرة الامنية. ولكن هناك فرقاً بين «المثال» والواقع. وأنا لا استطيع أن اتصور لنفسي شيئاً خارج اطار الظروف وإلا كنت كمن يحلم.

● **سألت هيكل بلا مناسبة، وبلا تسلسل طبيعي لحوارنا: الوردة الحمراء التي كانت تصلك مع وجبة الغداء إلى السجن.. ممن؟**

■ خافت عينا هيكل قليلاً وأدهشه السؤال بل فاجأه وقال كمن يشعر أنه يرد على محقق «الوردة دي من مراتي قصتها.. أنه بعد ٥٥ يوماً انقطاع كامل عن العالم، سمح لنا بأن نتلقى سلال غداء. كان يصل عندنا في ملحق طره ٣٣ سلة، وسلة غدائي كانت تزينها وردة حمراء تذكرني بورد مكتبي الذي هو أول ما أطالعه كل صباح وكان لها معنى عطري عندي»..

خجلت، وتابعت الحوار، وانتقلت بسرعة بالكاميرا إلى لقطة أخرى..

● **قلت لهيكل: أكثر من مرة سمعت منك أنه لا صحافة خارج السياسة وأن الصحافة نوع من الأداء السياسي: فكيف تقول لي إنك «تؤثر» موقف المراقب، أنت شئت أو لم تشأ داخل الحلبة؟!**

■ لمعت عينا هيكل (دليل الاهتمام). اشعل السيجار، الولاعة لا تستجيب. يهزها قليلاً لا تجيب بشعلة، يشعل السيجارة بالكبريت، ويرد!!

«إنها معادلة صعبة، فأنا مراقب محايد وأنا طرف «مهتم» في نفس الوقت لكني لست متفرجاً بالقطع. أنا واحد من الناس، اخترت أن أقول في هذه الرحلة رأيي حين يكون عندي، ما أريد أن أطرحه. لست ملتزماً بكتابة دورية أو يومية! ولست فريداً في هذا الموقف. تعال ننظر حولنا ونتأمل في العالم مثلاً. دعني أسألك هل هناك من يفوق أهمية وشهرة «ولترليبمان»؟ لا أظن هذا الرجل جاء في سن الستين

وقال سأكتب مرة واحدة في الأسبوع وكان يكتب بابه مرتين /dayont و Dayin وفي الخامسة والستين قال، سأكتب مرة واحدة كل شهر وبعد عامين أعلن أن الواجب يقتضي أن يكتب كلما ألح عليه خاطر ما أو رأى ما. هذا الرجل - ولترليبمان - هو سيد الصحفيين في القرن العشرين.

● **قلت لهيكل: أريد أن اسألك عن الصحافة المصرية، كمراقب، وربما يدفعني للسؤال رغبتي في سماع تعليقك على «بيان» نقابة الصحفيين الذي نادى بضرورة تجاوز خلافاتهم.**

■ قال هيكل: أقولها لك من قلبي «يا ريت» إن أحوال المهنة - كما أراها الان - لا تسر. أرى المهنة منهمكة للغاية في تصفية حسابات شخصية وأعترف لك أن المهنة تنزف! إنني أتمنى أن يذهب الصحفيون الكبار والصحفيون الشبان إلى مبنى النقابة ويجلسوا معاً يتدارسوا أمور المهنة، كمهنة. القارىء الذي عايشنا جميعاً من حقه أن نقدم له خدمة صحفية لا أمور شخصية صحفية، لقد عبرت بقلمي حدود بلادي لأن لي قاعدة أساسية في مصر. لولاها لما التفت لي القارىء الانجليزي أو الأيطالي أو الأسباني. أوضاع المهنة منعكسة - في نهاية الأمر - على الخدمة التي تقدمها للقراء بل على علاقتها بالسلطة لدرجة أن يقول الرئيس مبارك في أحد مؤتمراته «فاض بي من خلافات الصحفيين». من يرضيه حال الصحافة المصرية.. اليوم؟

● **قلت لهيكل بنفس النبرة والايقاع: ما أزمة الصحافة المصرية.. اليوم؟**

■ أجاب وأفاض. قال هيكل.. «في مصر ظاهرة غريبة اسمها التراكم، تماماً مثلما تكتشف أن في دولابك ملابس قديمة، تطلب منك زوجتك أن تخلي الدولاب منها وتحتفظ بالجديد فقط ولكنك - دون أن تدري وهذه خاصية نفسية - تحتفظ بهذا القديم.. فيحدث تراكم! تعال ننقل هذا المثل البسيط للصحافة من يجلس الآن على قمة الصحافة؟ مجموعتان. مجموعة قديمة عاشت مصر (العصر الملكي وعصر عبد الناصر وعصر السادات) والمجموعة الثانية، جاءت بظروف السلطة. ما نتيجة هذا كله؟.. نصف خائف من ماضيه، والنصف الاخر خائف على مستقبله!

هذه مشكلة تراكم أجيال. فلم تحسم بعد مشكلة القديم والجديد. على الأقل في مصر! حين دخلت «السلطة» الصحافة المصرية، أتت معها بوجوه لا سند لها الا: السلطة. تلك هي الأزمة وهذا مجملها وهكذا تراها أبعد من مجرد اصدار بيان.

المفروض أن أزمة الصحافة المصرية كمؤسسة تتعدى كل الحساسيات. لأن هناك. في الواقع أزمة في «بنية» الصحافة المصرية. إنني أدعو ـ نقابة الصحفيين ـ لعمل حوار واسع يحل مشاكل الصحفيين لتلتفت إلى المهنة. أنا أدعي أن الصحافة المصرية غائبة عن تطور المهنة في العالم الخارجي. كل ما نفعله ـ لنجدد شباب المهنة هو شراء ماكينات جديدة. وهذا أضعف الايمان. نحن لا نستثمر العقول التي هي عصب الفكر في الصحافة. نحن نستثمر ماكينات.. وآلات!!

● **قلت لهيكل: ماذا بعد أن جلس أئمة الاقتصاد في مصر لعلاج حالة الاقتصاد المصري.. هل سيلوح في الأفق هذا «الرخاء».**

■ قال هيكل وهو يخطط بقلم جاف فوق ورقة بيضاء.

ـ ليس هناك اقتصاد بعيد عن الاجتماع. أهم ما جاء في هذا المؤتمر في نظري هو خطبة الرئيس مبارك في بدايته. لقد كانت تشير إلى «النبرة» الاجتماعية. هناك سؤال عام يفرض نفسه وهو إذا أردنا أن نبني اقتصاداً، فلمن؟ ولصالح من؟ هذه مسألة أساسية. بالمناسبة، أذكر عندما دعاني ذات مرة الرئيس السادات ليعرض منصب «نائب رئيس وزراء» أن سألته وغضب من سؤالي! قلت له «أليس من حقي أن أسأل من نحن وماذا يمثل هذا النظام.. وما قاعدته الاجتماعية؟» أذكر أنه كان جالساً وممدداً على فوتيل كبير ومريح في استراحة القناطر الخيرية وقلت له «كان المفروض ـ يا أفندم ـ أن تكون سيادتك اللواء أركان حرب أنور السادات بالمعاش. فلماذا أنت الآن، الرئيس أنور السادات؟ وأصغى لي الرئيس السادات.. فقلت: (لأن هناك معنى اجتماعياً برز في ٢٣ يوليو. حدث تغيير لا لمجرد التغيير. التغيير كان له ابعاد اجتماعية واسعة. وكل النظم ـ باستثناء الدول

التي فيها الحكم حق إلهي للملوك، لا يحكمها إلا «اختيار اجتماعي» دعنا نتسأل ما هو الحزب؟ انه الطليعة المتسيسة لطبقة. تعبر عن مصالحها وتسعى للسلطة لكي تحقق هذه المصالح) هل ابتعدت عن الموضوع؟ أنا أقول لا يوجد اقتصاد إلا إذا كان هناك «اجتماع» من أنت، وماذا تمثل!

قلت همساً. . وحينئذ يلوح في الأفق: الرخاء!

فجأة قال هيكل. وكأن كلمة رخاء لا تريحه «سيبك وحياتك من كلمة رخاء دي. هذه الكلمة ابتذلت. هناك كلمات كالخمسة صاغ القديمة، من فرط الاستعمال، تصبح ممسوحة: فكلمة رخاء عندي لها نفس الانطباع»!

● قلت لهيكل: هناك سؤال وددت لو أبدأ به الحوار، لكنني أجلته حتى تململ داخلي ويطالبني. . بالخروج!

أصغى هيكل ووضع فوق عينيه نظارته الطبية.

قلت: أنت تقول إن الشارع المصري يعيش لحظات من، بعد صدور الأحكام. . وقاطعني هيكل: أنا لم أقل. هناك فرق بين ما «أقول» و «ما أرصد»؟

■ قال: فرق كبير. عدت أقول غير عابىء بصدى السؤال عنده «هل من الممكن أن يكون ما ترصده ـ يا أستاذ هيكل ـ حتى ولو جاء على سن قلمك، ليس جزءاً من رأيك أو نسيجاً في معتقداتك؟»

قال هيكل: عندما أرصد ظاهرة العنف، فهل أنا مع العنف؟ بالقطع لا. وعندما أرصد ظاهرة الحزن التي أشرت أنت إليها، فهل أنا أوافق على «الفعل» وعندما أرصد ظاهرة الفساد، فهل أنا مع الفساد؟ وعندما أرصد ظاهرة ازدياد النفوذ الأمريكي في المنطقة، فليس بالضرورة أن يكون هذا رأيي شخصياً. هناك فرق بين أن ترصد ظاهرة وتكون هذه الظاهرة معبرة عن رأيك. من الممكن أن أرصد شيئاً واختلف معه جملة وتفصيلاً.

● قلت مرة اخرى: أعلم أنك تعارض الحوار بالرصاص ولا تضفي شالات البطولة على القتلة. وأعلم أنك لا تتعاطف مع تيار الارهاب. لقد تعرض عبد الناصر في المنشية عام ٥٤ لمحاولة اعتداء آثمة. والأهرام نفسه ـ كمبنى ـ تعرض للاعتداء. أنت ضد هذه «اللغة» وترفض العنف أسلوباً للتفاهم. فهل أخطأت في هذه التقديرات؟

■ قال هيكل وهو يؤميء برأسه بعد كل عبارة قلتها: لم تخطىء.

وانتقلت إلى الموضوع العربي حتى لا أفقد ذبذبات الموجة التي نتحدث من خلالها سوياً سألت هيكل عن عودة مصر للصف العربي أو عودة العرب إلى حضن مصر.

قال هيكل: عندما تسلم الرئيس مبارك السلطة، قام بعمل «خيارات» أستطيع أن أقول إنها كلها ـ حتى هذه اللحظة ـ خيارات سليمة. بعضها كان يتعلق بإلغاء بعض ما كان قد حدث. وهذه في واقع الأمر لم تكن خيارات تستطيع أن تقول إنها مقتنيات. إن الرئيس مبارك يعكس نفسه ببساطة رأيته منذ أيام على شاشة التليفزيون يتجول في المعرض الزراعي الصناعي. إنه يتصرف كانسان بسيط، يتفرج على البضائع. يشعر بسعادة أمام مصنوعات مصرية. يقلب بيديه صوف مصر المحلة. أكثر ما يريحني في الرئيس مبارك أنه رجل لا يريد أن يكون إلا نفسه هناك خيارات أخرى واجهها. مواقف معينة طرحت نفسها عليه، فاختار منها موقفه المحدد والواضح من زيارته للقدس.

● قاطعته: بالمناسبة؟ ماذا يقول مرصدك عن سيناء؟

■ قال هيكل ضاحكاً «ماذا يقول مرصدي» على أي حال في السياسة كما في الطقس فإن العوامل المؤثرة في أحداث الغد يمكن رصدها من اليوم ومتابعة حركتها المتجهة إلينا دون أن يكون ذلك تطاولاً على الغيب. عن سؤالك أقول: نعم ستنسحب إسرائيل في الموعد المحدد. الضغوط الدولية والظروف الدولية وملابسات التوازن الاستراتيجي في المنطقة والاهتمام الأمريكي سيؤدي إلى انسحابها.

● **قلت: إن الطقس أحياناً يفاجيء المتنبئين الجويين بما ليس في الحسبان؟**

■ قال هيكل: هذا وضع جديد ومعادلة مختلفة تفرض عليك مراجعة كل حساباتك.

شربت عصير البرتقال بنهم، ربما لمداعبات معدية يعرفها مرضى السكر، مثلي. وقلت لهيكل: كلي اصغاء. أريد أن أعرف تقييمك لموقف الرئيس مبارك من إعلانه عدم زيادة القدس.

قال هيكل: بالمناسبة الفترة من الآن وحتى الانسحاب أهم من الفترة بعد الانسحاب لماذا؟ لأن شكل ما هو قادم يتحدد اليوم. غاية في الأهمية موقف الرئيس مبارك من زيارة القدس. إذا كان يقول السادات قد ذهب، فقد كان ذلك في اطار المبادرة ولم تكن القدس ـ بعد ـ عاصمة موحدة. هذا الموقف من الرئيس مبارك فيه اختيار وله معنى.

أولاً ـ إنه قبل التحدي بموقف. ثانياً ـ اعتقاده وهو على حق أنه قادر على اتخاذ هذا الموقف. ثالثاً ـ رفضه لأي شيء يضعه على حافة الاستفزاز. لقد رفض الزيارة وهو معرض لابتزاز إسرائيل ولن يتوانى عن الرفض مستقبلاً. ونعود، إلى تساؤلك: مصر والعرب إن عدم زيارة الرئيس مبارك إلى القدس، هي رسالة بالرموز إلى العالم العربي. إنني أرى أبعد من هذا، أرى أن مؤتمر فاس لم يفشل وأعتقد انه أوجل بالتحديد لكي يعطي مصر فرصة أفسح للمشاركة. دعني أصارحك لقد قال «فهد» لوزير خارجية أمريكا عندما التقيا في أسبانيا: فلتأخذ مصر كل أراضيها فلسنا نريد أن نقف عائقاً. مهما كان خلافنا مع مصر القرار، فنحن نريد أن تكمل مصر بقية الرهان. وتعال نتأمل هذه الاشارة معاً:

حين طلب حسني مبارك إخلاء الجامعة العربية من (منظمة الشعوب العربية والاسلامية) أليست هذه رسالة بالرموز للعرب معناها: داركم مفتوحة لكم في القاهرة؟ هناك ـ أيضاً ـ ما هو أخطر. قول حسني مبارك: أنا لن أوقع كلمة نيابة عن

الفلسطينيين. هذه اشارة للفلسطينيين أن هناك طرفاً يستطيع أن يتكلم في قضاياهم بمشورتهم وإذا شاءوا. من هنا أرى أن هناك حواراً ـ بالرموز والاشارات حوار حقيقي بين مصر والعالم العربي.

● **قلت لهيكل: كيف ترى الرئيس مبارك، كمراقب محايد؟**

■ قال: لقد اجتمعت به مثلما اجتمع به الآخرون. ولكنني لست من أنصار الالحاح على وقت الرجل ولا على شواغله ولا على مستشاريه. أعتقد أن الرئيس مبارك يواجه الآن أصعب «خيارات» في تاريخ مصر وأتمنى له النجاح وأود أن يعرف مصر كلها عن قرب وتعرفه مصر عن قرب. ألفت نظرك إلى أنه يواجه تراكمات كثيرة. أزمات اقتصادية. فراغات سياسية. أزمات انتقال. مشاكل مع إسرائيل. محاولة اعادة صياغة الدور المصري. معنى هذا أن الرئيس مبارك يواجه خيارات مصيرية حقاً. ومطلوب من كل انسان مصري أن يقول رأيه بدون الحاح. لا ينبغي أن يشعر الرئيس مبارك أو مستشاريه أو جهاز الرئاسة أن هناك محاولة من أي جانب من الجوانب «لدفعه» في اتجاه معين! ربما لهذا أقول إن الدعوة اليوم، لحوار واسع ضرورة لنستكشف الغد. نحن مقبلون على إعادة توصيف وتقييم للمرحلة القادمة بعد فترة عشناها من الفوضى الرقمية والفكرية.

● **قاطعته: ماذا أعطت مصر التجربة السادتية ؟**

■ قال هيكل بعد تفكير: قد تكون غير قريبين جداً عن مصر السادات بحيث لا نستطيع أن نقدم له «تقييماً موضوعياً» لكنني أجزم أن هذا العصر تغلب فيه «الأسلوب» على الموضوع دون الدخول في تفاصيل أكثر!

● **وجدت نفسي أسأله: في اعتقادك، ماذا أعطت الناصرية لمصر ؟**

■ قال في عبارة محددة، أعطت لمصر تعبيراً حقيقياً عن الجغرافيا والتاريخ وعن المستقبل بصرف النظر عن أي تجاوزات أو أخطاء. لا توجد تجربة كبيرة بلا أخطاء.

● **قلت: لأعطي هذه النقطة: أعرف أنك تكتب كتاباً جديداً عن عبد الناصر،**

وأتذكر أنك كتبت مرة مقالة عقب رحيل عبد الناصر تقول إن عبد الناصر «ليس اسطورة» وعبرت فيها عن مخاوفك من تحويل تراثه إلى كهنوت غيبي جامد بينما هو في الحقيقة تجربة إنسانية زاخرة قابلة للحياة والنمو والتطور. الآن، جاء دورك لتكتب عن عبد الناصر ولم تعد رؤيتك مشوبة بالعاطفة. وأظن أنك انتظرت سنوات لتقدم شهادة متكاملة للتاريخ.

تنهد هيكل! قلت هل همساً: سيرة عبد الناصر لها عندك عطر خاص.

■ قال بسرعة كأني اخرجته من احساس خاص كالمحاره: نعم للسيرة عطر خاص ولكن ما يعنيني عن عبد الناصر أنه كان تجربة هائلة في حياة هذه الأمة العربية وفي زماننا كله، ومثل كل تجربة هائلة خصوصاً إذا كانت بالثورة، فإن التجربة تصبح حافلة، ذلك أنها بالثورة تواجه تحديات جديدة ثم أنها تعطي للتحديات التي تطرح نفسها عليها اجابات مختلفة وهذا مجال الصواب والخطأ. وبعد ما قيل ـ الكثير ـ عن عبد الناصر، لم يعد في مقدور أحد أن يصدق عنه شيئاً إلا مدعماً بالوثائق.

إذا جئت لأتكلم عن الرجل وقد أصبح في رحاب الله ـ يجب أن أوثق ما أقول. كتابي عن عبد الناصر من عشرة أجزاء منهم خمسة أجزاء للوثائق. الوثيقة بطل. لقد أصبح لازماً ليس فقط للتاريخ بل لضمير الأمة أن تعرف ما حدث بالوثائق. وتقييم التجربة الناصرية، من حق الأمة وليس حق الفرد. فهو كتجربة ملك جماهير واسعة عاشتها معه وأعطته ما لم تعطه لأحد قبله وما لم تعطه بعده لأحد. ولم تكن جماهير الأمة عمياء ولا فاقدة لوعيها وهي تسير معه.

● قلت لهيكل: ما مفهوم «البطل» في رأيك؟

■ قال وقد سرح قليلاً: البطل هو الذي يحمل هموم أمته في لحظة تاريخية معينة، تعريف البطل عندي قريب من تعريف الثورة. لا يوجد بطل محترف بطولة أو ثوري محترف ثورية وإلا كان ذلك تخريفاً. هناك لحظة ثورية وهناك لحظة بطولة. والثوري يستجيب لمقتضيات لحظة معينة وكذلك البطل. البطل هو استجابة انسانية للحظة تاريخية. انسان فرد تحمل هم أمة. واضح؟!

● **قلت: واضح، وأعطني أمثلة لما تقول حتى لا أفكر في اتجاه آخر. .**

■ قال: اعتبر ماوتسي تونج بطلاً، اعتبر غاندي بطلاً. كلاهما، في لحظة من تاريخ أمته جاءا ليعطيا إجابة صحيحة يقودا فيها المسيرة مهما كانت الصعوبات والتحديات.

● **قلت لهيكل: كتابك القادم «خريف الغضب» هل أنت فيه مجرد راوية لأحداث جرت. .**

■ قاطعني: أنا لست رواية أسرد أحداثاً. أنا أحاول أن أحلل بعد رؤية ما جري في مصر. أنا أقول ان «أنور السادات» اكتسب شرعيتين. ورث سلطة من جمال عبد الناصر فاصبح وريثاً لثورة ٢٣ يوليو، وأضاف شرعية جديدة، مسحة أو لمسة من الديمقراطية، ثم قرار أكتوبر. مع أني أري ـ وهذه جملة اعتراضية. في الرجل المصري أو العربي العادي هو البطل الحقيقي في هذه الحرب كما تأتي حوادث يناير ٧٧ الشهيرة التي وصلت به الى أزمة. بمعنى نظام يلجأ الى حظر تجول وانزال جيش لحفظ الأمن والنظام. لقد شرح هذا كله «الشرعية» التي اراها في ايجاز الرضا والثقة والتجربة المشتركة. ان ثورة الناس لم تكن انتفاضة حرامية على الاقل في اليوم الأول. ومنذ ذلك الوقت تكدست التراكمات! حتى جاء خريف ٨١. ذلك الخريف الغاضب. ان ما أطرحه في الكتاب هو تحليل أزمة كنموذج في العالم الثالث.

واستطرد هيكل يقول: تذكر أن حركة التاريخ هي تيارات تندفع في عنف وليست مناقشة مترفة بين اثنين ـ مثلنا ـ في غرفة مكتب. .

● **قلت لهيكل: أريد أن أسألك كمراقب متواضع ـ لما يجري الان من مساجلات بعضها عاقل والأخرى تتجاوز حدودها، ربما يفيد ذلك في صحافة المعارضة «ما هي أخلاقيات الخلاف السياسي؟»**

■ وابتسم هيكل وقال: أولاً، الأخلاق معنى لا يتجزأ. ثانياً الأخلاق في السياسة وفي التجارة وفي العلم، واحدة، لا بد أن يكون عندك حقيقة موضوعية وأن تقولها

بأمانة. ثالثاً: كل شيء في هذا الوجود حوار. فالعالم حوار بين الانسان والطبيعة، الصناعة حوار بين الانسان والالة. السياسة في النهاية حوار بين اراء وبين طبقات. رابعاً: ليس في الأخلاق كهنوت. خذ أخلاقيات الحوار السياسي أو الخلاف السياسي، موضوعاً والتعبير عنه لا بد أن يتضمن قيمة. خامساً: اذا كان هناك قيمة في موضوع وقيمة في عرض هذا الموضوع، فالرسالة تصل! سادساً: عندما أتحاور معك الان، على سبيل المثال ما الذي يجعل حوارنا مجدياً هناك موضوع مطروح. بأمانة. ذلك اني أعتقد أن «الشتيمة» هي واحد بيكلم نفسه لا أحد يرد عليه واذا رد، فهي شتيمة أخرى. خارج الموضوع وتسقط القيمة. سابعاً: في الحوار، موضوع أمام موضوع وقيمة أمام قيمة ومهما اختلفنا فهناك القيمة في العرض والأمانة في الطرح. وهذا يزيد حوارنا ثراء. أخلاقيات العمل السياسي، كأي اخلاقيات. هي اخلاقيات العمل الاقتصادي أو العمل الاجتماعي. ثامناً: الشتيمة في السياسة كالغش في الصناعة والسرقة في التجارة. ويبدو أن بعض الناس يمارسون الحوار.. باسلوب الانفتاح!!

وصمتنا!

....

....

....

وكانت موسيقى شوبير تهدر، وكأنما جاءت لتحملنا وتلقي بنا على شاطىء الصمت. حيث لا مشاكل ولا صراعات. نوتوبيا مؤقتة وشرد مني هيكل وكأنه يسلم نفسه لمكان وزمان آخر. ثم تنبه وقال لي.. أعتقد أن اكبر مكسب للانسان أن يكون محظوظاً بأصدقائه وأن يكون محظوظاً بمن اختاروا أن يكونوا خصومه.. أنا محظوظ في الحالتين!

وكف «هيكل» عن الكلام المباح.. وغير المباح!

التغيير ضرورة: في مصر والعالم العربي

لم يكن هيكل راغباً في إجراء أي حديث في هذه المرحلة. ولـكن علاقتـه الحميمة بالوطن وتقديره لدورها جعلاه يخرج عن عزوفه. وهكذا كان لنا هذا الحديث المطول عن المرحلة المقبلة في مصر وعمق وحدود المتغيرات داخلها وحولها:

جريدة الوطن الكويتية ـ ٣/ ١٩٨٢٥ ـ سليمان فليحان.

● الوطن ـ بعد الانسحاب الإسرائيلي من سيناء تختلف توقعات المراقبين حول طبيعة المرحلة المقبلة. فبينما يراهن البعض على تحولات غير محددة في السياسة المصرية محلياً وعربياً ودولياً يعتقد البعض الآخر أنه من المستبعد حدوث أي تعديل على النهج الحالي.. كيف تنظرون إلى مرحلة ما بعد الانسحاب الإسرائيلي وما هو تقييمكم لطبيعة المرحلة؟

■ ـ مما لا شك فيه أننا أمام مرحلة جديدة. وهذا أمر طبيعي ودون أن نتكلم بالتاريخ وإنما نكتفي بالكلام عن موقف محدد وقريب. أعتقد أن مصر منذ يناير عام ١٩٧٧ ولغاية أكتوبر ١٩٨١ كانت تعيش فترة مرهقة نوعاً ما. فترة تفاعلات اجتماعية واقتصادية وسياسية، ويمكن القول إنها هي الفترة نفسها التي أدت إلى المبادرة.

إن تاريخ أي وطن هو حوار مستمر بين الحوادث وبين الناس وبين الظروف. وقد خلقت حرب أكتوبر عند الكثير من الناس توقعات متباينة، حيث خضنا حرب أكتوبر ـ زي ما أنت فاكر ـ بأهداف معينة وكانت نتائج الحرب مواتية لتحقيق هذه الأهداف ولكنها لم تتحقق في النتيجة لأن السياسة لم تستطع أن ترتفع إلى مستوى ما صنعه السلاح. وبالتالي لم تأت النتائج السياسية للحرب متوافقة مع توقعات الناس وجهدهم. وكانت النتيجة ردة فعل بالإحباط عكست نفسها في سنة ١٩٧٧.

منذ هذا التاريخ اعتقد أننا كنا نتخبط في الظلام. إذ ضاق الناس في عام ١٩٧٧ واختلجوا ضيقاً على ما أحسوا به، وهو أن نتائج تضحياتهم الضخمة التي بذلوها في الحرب وما حققوه بجهدهم، بأرواحهم، بأبنائهم، بدمهم، بكل ما لديهم لم تعد ثمارها إليهم، وإنما ذهبت لغيرهم.

ونستطيع أن نقول «إنهم نشلوا على جسر العبور» أي أن تضحياتهم قد «نشلت» منهم و«نشلت» قيمة هذه التضحيات. وقد عبروا عن هذا في الواقع بما حصل في يناير عام ١٩٧٧. ما لبثنا بعد هذا أن عشنا فترة صراع بين شيئين: إرهاب مقنع أو محجب بحجاب القانون واجهه إرهاب مضاد محجب بحجاب الدين.

وهكذا دخلنا في معركة التخبط في الظلام. وفي هذا الوقت حدثت المبادرة وحدثت أمور كثيرة جداً ولكن بصرف النظر عن هذا كله قد خلق المشي في الظلام تصادماً بين العديد من القوى. ولم يكن هناك تقديرات واضحة ومحددة. وكنا نسلك طرقاً كلها تبدو مغلقة حتى حدث ما حدث في ٦ أكتوبر وجاء رئيس جديد غير مقيد بالسيناريو القديم.

مع الأسف الشديد أن الأبواب التي أقفلت كلها في الفترة الماضية أي سنوات الحيرة الأربعة من ٧٧ لغاية ٨١ والتي سادها الخبط في الظلام والخبط غير المحسوب والقمع والقمع المضاد وإرهاب الدين وإرهاب القانون إلى آخر كل ما حصل، في النهاية كان مفروضاً أن هذه الأبواب ستفتح ولكنها مع الأسف فتحت بالعنف ولم يكن هناك حل آخر.

بعد هذه الفترة وجدنا أنفسنا أمام وضع جديد وباب جديد، ونجد أن إحساس الشعب المصري منذ أكتوبر وحتى هذه اللحظة ما زال في انتظار بدء مرحلة جديدة فعلاً. وكان أمامنا تاريخ ٢٥ أبريل. وواضح أن هناك اختلافاً عملياً فعلاً أي أن الإسرائيليين سيخرجون من سيناء ولكن التغيير ليس سهلاً لأن من الصعب القفز فوق الحقائق السياسية، ومع هذا أنت أمام فترة جديدة، والناس أمام فترة جديدة. وقد أحسوا بهذا، وهناك شعور في مصر وهو الرغبة في عدم الالتفات إلى الماضي. في الواقع جزء كبير من ضيق الناس فيما يحدث اليوم أن هناك من يحاول جرهم إلى الماضي سواء ماضي السادات أو حتى ما قبل السادات.

أتصور أن الناس تريد أن تنظر إلى المستقبل وتريد أن تجد طريقاً إلى أمان كثيرة جداً، لقد تصوروا أنهم قريبون من تحقيقها في أوقات سابقة ولم تتحقق لكنهم يصرون على تحقيقها. فأنت أمام مرحلة جديدة فعلياً وعملياً.

الأمر الثاني: إنك أمام رجل جديد، وهذا مهم جداً، وأتساءل ما هو الوضع القائم حالياً؟ أما أن تغييراً سيأتي. بالتأكيد لا بد أن يأتي. على المستويين: المستوى الإنساني والمستوى القيادي. فعلى المستوى السياسي كان وصل أنور السادات إلى إجراءات ٥ سبتمبر وقد ظهر أن ضربات ٥ سبتمبر كانت ضربات يائسة في «الظلمة» ليس لها ما بعدها. وعلى أي حال كانت تساعد على إقفال الطرق أكثر مما تساعد على فتح الطرق، ولك أن تتخيل ما يمكن أن يحصل لو أن ما سمي بثورة ٥ سبتمبر استمر إلى فترة أطول. فماذا كان سيحصل لو أن عملية الاعتقال استمرت ماذا كان سيحصل لو أن الفتنة الطائفية التي كانت موجودة في الباب تفاقمت أكثر. ماذا كان سيحصل في موضوعات الفساد لو حصل تستر عليها. وماذا سيحصل لو أن إسرائيل ضغطت على السادات كما ضغطت في الفترة الماضية على مبارك ليذهب إلى القدس أو يتنازل عن بعض المناطق. لا شك أن السادات كان سيذهب إلى القدس من غير تردد!!

إذن الأوضاع السابقة في مجملها وصلت إلى طريق مسدود وكان لا بد أن تتغير. حتى ثورة ٥ سبتمبر كما أطلقوا عليها هذه ـ التسمية ـ وهي كانت في الواقع عملية عنف تمثلت في ضربات متلاحقة ـ حتى هذه الثورة لم يكن وراءها هدف ولم يكن لها نتيجة وليس من الممكن أن تؤدي إلى شيء بل على العكس كانت أدت إلى زيادة الأبواب المغلقة. وحتى لو حدث أن الرئيس الجديد جاء ولم يكن لديه شيء محدد فإنه بدأ يلغي ما قيل إن ثورة ٥ سبتمبر قد أنجزته.

لقد بدأ مبارك يفتتح الأبواب مع العالم العربي ويتحدث عن عدم الانحياز وبدأ يكتسب شرعية في الوضع الجديد بمجرد العدول عن بعض ما كان تقرر بالغضب والعنف والعصبية. وهكذا تجد نفسك أمام مرحلة جديدة وبمنتهى الوضوح لأن المرحلة السابقة عليها لم تصل إلى شيء بالتأكيد. وليس هذا فقطبل إن المرحلة الجديدة أوصلت إلى السلطة رجلاً جديداً ونحن نعرف ماذا يعني دور الفرد في هذه المرحلة الانتقالية وفي حياتنا كلنا.

وفي النهاية تجد الحوار في مصر يدور ـ كما وصفه أحد المثقفين ـ حول مخاطبة ومناشدة عقل وفكر وروح وضمير حسني مبارك. وهذا ليس صدفة مع

الأخذ في الاعتبار أن الذي كرس الاستمرار في مصر ليس الحزب الوطني، وإنما هو في الواقع الأمر المستمر والدائم في مصر. حيث تتمثل قوة الاستمرار في شكل تنفيذي بالبيروقراطية أو في قوى الدولة المنظمة وعلى رأسها القوات المسلحة «الكوبري» الذي عبرت عليه البلد من مرحلة إلى مرحلة، وبالتالي هناك دور للرجل الذي يتربع على رأس الجهاز التنفيذي في البلد والذي سيؤدي في عمله السياسي سوف يعطي شرعية لهذا الوضع وبإنجازاته سيؤكد هذه الشرعية.

إن التغيير ضرورة لا مفر منها إنسانياً وموضوعياً، طبعاً عملية التغيير معقدة جداً بالنسبة للرئيس المصري لأن الناس في مصر كلهم يتطلعون إليه وينتظرون ليروا ماذا سيعمل. وأنت تقول إن الناس منحوه فترة سماح. هذا صحيح، لأن الناس يريدون إعطاءه فرصة لينجح لأنه ثقيل عليهم جداً وباهظ التكاليف ألا ينجح الرجل لأن عدم نجاحه مخيف للناس. وبالتالي لا بد أن ينجح ولهذا هم مستعدون للتضحية. وأتصور أن أهم استفتاء حصل في مصر بل ربما كان الاستفتاء الوحيد الصادق مؤخراً هو الاستفتاء الذي جاء بحسني مبارك إلى سدة الرئاسة. فقد صوت الناس لرجل لا يعرفونه كانوا يائسين من كل ما عرفوا. ولأنهم كانوا يريدون الاستمرار ولديهم الأمل أن يقدم الرئيس الجديد رؤية جديدة وسياسة مختلفة.

قلت إننا موضوعياً أمام ظرف متغير وإنسانياً أمام رجل مختلف، عملية معقدة جداً ـ وهذا طبيعي ـ لأن رجلاً عندما يبتعد عن ظل رجل آخر سبقه فإن المؤسسة كلها تقاوم الابتعاد. خاصة وأن ابتعاده عن هذا الظل قد يؤثر على القوى السابقة. وبالتالي هناك معركة ضارية لمنع التغيير قائمة حالياً وتستطيع أن تتصور كل الأوضاع الموجودة حول الرئيس السابق والمستفيدين من هذه الأوضاع، حيث يقاتل بعض هؤلاء اليوم من أجل المصالح، وبعضهم يقاتل من أجل البقاء، وبعضهم يقاتل ربما عن أخطاء. وبالتالي هذا يفقد جداً عملية التغيير، هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإن الواضح أمامي أن الظروف أصعب جداً مما كانت عليه في أي وقت بالنسبة لمصر.

هل أتصور أن الرئيس حسني ـ وهو أثارها في المؤتمر الاقتصادي ـ قد تفاجأ بالحقائق الاقتصادية. لقد كان ما رآه وما اكتشفه في الوضع الاقتصادي مفاجأة.

صحيح أنه كان لخمس أو ست سنوات قريباً من السلطة كنائب للرئيس السادات إلا أنه علينا أن نسلم في ظروف العالم الثالث بأن السلطة كلهـا تكون في يد رجـل واحد. أو القرار في يد رجل واحد. وأن هذا الرجل الواحد يطلع الآخرين على الحقائق والقرارات بقدر ما يرى هو فقط. وواضح أن الرئيس حسني مبـارك كان يعرف كثيراً من الأشياء ولكنه بالتأكيد لم يكن يعرف الكثير من الحقائق السياسية والاقتصادية والاجتماعية. وأشير إلى جانب هذا إلى أن علاقة إنسانية معقدة جداً، ليس في مصر فقط وإنما في كل العالم. ذلك أن الرئيس يرى في خلفه أو نائبه رجلاً يخلفه في كل شيء، وإنسانياً يشعر بهذا، أي أنه لا يسمح له برؤية كل الأشياء أمامه. وهذا ثابت في تجاربنا وحتى في تجارب أناس آخرين، ثابت في تجارب كل الرؤساء الأميركان، ثابت في تجارب جونسون مع كنيدي مع الفارق الكبير المختلف بين أميركا وبين مصر، ثابت في تجارب فورد مع نيكسون، في تجارب كارتر مع مونديل، والأمثلة موجودة أمامنا في العالم أجمع.

إذن أمامنا موقف إقتصادي اجتماعي سياسي معقد إلى أقصى درجات التعقيد. وأمامنا رجل جديد وظرف جديد. والانسلاخ أو الابتعـاد عن ظل الماضـي ليس عملية سهلة. فالموقف كله أو ملابسات هذا الموقف في منتهى الصعوبة وهذا يزيد من عذاب عملية التغيير.

وهناك ثلاثة أسباب تجعلنا نتصور صعوبة التغيير وهذه الأسباب:

١ ـ إننا نجد في التغيير أناساً كثيرين يقفون في الطريق.

٢ ـ الموقف المعقد الذي أشرنا إليه.

٣ ـ القوى الخارجية التي تعمل على تعقيد عملية التغيير وهي بالتحديد أميركا وإسرائيل وأنت ترى أميركا كيف تتصرف حتى قبل الانسحـاب من سينـاء وبعـد الانسحاب وحيث ما زالت هناك مشاكل معلقة ومنها مشكلة طابا.

ويمكن أن نلخص المرحلة التي نمر بها بالآتي:

أولاً ـ نحن أمام أوضاع تحتم التغيير.

ثانياً ـ أمام ثلاثة عوامل تجعل عملية التغيير في منتهى الصعوبة.

ثالثاً ـ أمام الناس الجاهزين للتغيير، وهم يشعرون بعد كل هذا أنهم أعطوا فرصة للرئيس الجديد وهم مستعدون أن يسمعوا منه ويمشوا وراءه ومستعدون أيضاً أن ينفذوا المهام التي يمكن أن يوكلها إليهم.

ويقع في خطأ أي إنسان يتصور أن الناس تقبل الكلام في معارك قديمة أو أوهام معينة. إنني أتصور أن الناس كلهم يريدون أن ينظروا إلى الأمام «عاوزين يبصو إلى قدام» وأن ما حدث من أخطاء قد انتهى.

أنا شخصياً لست معجباً بالسياسات الدراماتيكية ولكن في بعض اللحظات لا بد أن تبدأ مما هو كائن.

هذه الأوضاع أمامنا ومن هنا سوف نبدأ. وإذا كان هناك تغيير منتظر أن يحدث لا بد أن يأخذ في الاعتبار كل ما حولنا. أما كيف يتحرك وإلى أين ينتهي فهذه قضية لا يستطيع أحد أن يحكم فيها لأنها ليست متوقفة على برنامج رجل لم يعلن برنامجه، بل صعب أن يعلنه. وإنما متوقفة على أوضاع ديناميكية كثيرة جداً. متوقفة على أوضاع القوى الاجتماعية في مصر وقدرة كل منها على أن تعطي الرجل سبيل الحركة. متوقفة على رؤية أطراف عربية مختلفة:

إن استمرار كل سياسة في الدنيا هي تفاعل بين ناس وحوادث وحقائق. فالناس أمامنا والحقائق موجودة لكن هناك من لا نعرف مواقفهم. العالم العربي كيف يتصرف، على سبيل المثال، إسرائيل تخلق المشاكل والآخرون يخلقون مشاكل. الخريطة العربية كلها زاخرة بالمشاكل.

أتصور أنكم في العالم العربي جميعاً تسألون عن التغيير لأنكم تتصورون وتأملون في نفس الوقت أن هذا التغيير يؤدي إلى عودة مصرية إلى العالم العربي. وأنا أتصور أن هذا أمل مشروع، ولكن أعتقد أنه علينا أن نخرج ببعض التصورات العملية والطموحة والتي تحتاج إلى تعاطف منا ومنكم.

إن عودة مصر ليست المشكلة الوحيدة في العالم العربي. صحيح أن عودة مصر قد تساعد على حل قضايا كثيرة جداً ولكن هناك قضايا كثيرة جداً أيضاً لا

تتعلق في مصر وإنما بهموم العالم العربي المعاصرة ولا بد أن تكون كلها موضع مناقشة.

إن قضية عودة مصر، أو قضية التعاون، أو قضية الدور المصري هي قضية مركزية أو محورية. وعليكم أيضاً أن تفكروا فيها أيضاً. إذ ليس طبيعياً أو على الأقل ليس كافياً أنكم جميعاً في العالم العربي تسألوننا ماذا سيحصل.

إذا كان هدف إستعادة مصر العربية للعالم العربي وهو هدف كثيرين جداً داخل مصر فإنه ينبغي أن يكون أيضاً هدف كثيرين جداً خارج مصر. إذن ستسألون ماذا سنعمل حتى نرجع إلى العالم العربي، ولا بد أن تسألوا أنفسكم ماذا يمكن أن يعمل العالم العربي لعودة مصر.

هناك حوار دائر حالياً، وسيدور حوار في المرحلة المقبلة حول توجهات مصر. ويقول البعض إن هناك دعوات تتوجه بالمناشدة وبالخطاب للتجاوب مع قرار حسني مبارك الأخير، أليس من واجبكم أنتم أيضاً خارج مصر أن تدخلوا في هذا الحوار. أليس من الواجب أن الشعب المصري الذي تصور في الفترة الماضية أنه حمل هموماً كثيرة عن أمته ـ وهذا صحيح ـ أن تتحملوا مع هذا الشعب. لقد حصل على أي حال ما حصل وتخلى العرب عن الشعب المصري في أوقات صعبة أو أنهم لم يساعدوه بالقدر الكافي. وهذا لا أتكلم عنه من الوجهة المصرية لكن ماذا يحدث اليوم. ألا ترون على سبيل المثال مصاعب إقتصادية في مصر تترتب عليها مصاعب اجتماعية؟

أنتم ترون أن هناك فترة سماح وهذا صحيح! وأنتم ترون أن هناك بحثاً عن خطوات معينة وأنتم ترون أن هناك ضغوط أميركية ـ إسرائيلية تعقد الموقف أكثر مما هو معقد. وأنتم ترون أن إسرائيل تحاول أن تقول لأميركا من فضلكم بلغوا مصر أن أي خروج على معاهدة السلام من شأنه أن يؤدي إلى قطع المعونات الأميركية عنها، وأنتم تعلمون أن ذلك قد يؤدي إلى مشاكل كبيرة جداً. إذن ما الذي يمنع العالم العربي الذي اجتمع في بغداد على أثر كامب دايفيد وقال لمصر: «بلاش كامب دايفيد واحنا نديلكم ٥ بليون دولار كل سنة لمدة معينة». . أتساءل ما الذي يمنع العالم العربي ومصر اليوم تتخذ خياراتها الصعبة أن تساعد مصر خاصة وأن العالم

العربي بدأ يدرك إدراكاً واضحاً أهمية الدور المصري.

إن الرد المصري «ومش عايز حد يتصور أنني أتكلم من موقع إقليمي أو نعرة إقليمية» لا بد أن يقول: لقد ابتعدنا نحن فعلاً. وكان هذا ضد إرادتنا وضد إرادتكم وضد إرادة الكثيرين. وجئتم إلى مصر وقلتم لنا خذوا خمسة بلايين دولار إلى بضع سنوات. ومصر في موقف صعب وتتخذ خيارات في منتهى الصعوبة. ما الذي يمنع مجموعة دول الخليج النفطية اليوم أن تقول لمصر: «نحن نعرف المصاعب التي تواجهونها ونحن حريصون على الدور المصري ونحن نعرف الموقف في صراعنا مع إسرائيل. فتعالوا لنتفاهم ونحل المشاكل معاً».

إنه مهمة حيوية جداً ولا يهمني من يبدأ في خوضها ولا يهمني «مين الصح ومين الغلط» فإن ما فات فات، الآن هناك مشكلة خطيرة وهي مشكلة الحرب العراقية الإيرانية، فإن لم ننته بطريقة معقولة فإننا نحن جميعاً مهددون بفكر طائفي وأريد أن أقول لك أنه لا يكفي دول الخليج أن يتصوروا أن الأميركان سيأتون لحمايتهم فهذا ليس وقت الانحياز لأميركا.

لقد اختار العالم العربي عدم الانحياز عندما كانت أميركا تملك التفوق العسكري، وقد واجهنا الكتلتين الاتحاد السوفياتي وأميركا آنذاك. وقلنا في ظل التفوق الأميركي نحن غير منحازين وليس لنا علاقة بالصراعات الدولية. اليوم اختلفت الموازين وأصبح الاتحاد السوفياتي يملك حالة التوازن مع أميركا. وآن الأوان للتخلي عن الكلام الأجوف الذي كنا نردده بعد حرب أكتوبر إننا داخلون في معركة مقدسة ضد الشيوعية الدولية. إن قصارى ما نستطيع أن نفعله في ظل التوازن الموجود حالياً وهو توازن خطر جداً أن ننتهج سياسة مستقلة.

إن الشعوب الأوروبية بدأت تستيقظ في ظل توازن القوى الذي نغفله نحن. وبدأت تقول لأعضاء حزب حلف الأطلنطي الكلام نفسه الذي كنا نقوله في الخمسينات والستينات فهم لا يريدون أن يطحنوا في حرب أولاً مستحيلة. وثانياً إذا حدثت فإنها لا تبقي ولا تذر لأنها تعني الدمار الشامل.

في هذا الوقت ننحاز ـ نحن العرب ـ لأميركا«!» أليس هذا غريباً؟ وكيف يمكن لهذه المنطقة أن تنتهج سياسة مستقلة:

١ ـ مع الإبقاء على طابعها القومي وهذا هام جداً.

٢ ـ كيف تبني سياسة مستقلة في هذه المنطقة دون مصر.

من هنا، ومهما كانت العقبات عليكم أن تساعدوا مصر في هذا الوقت بسياسة طموحة واسعة الأفق واسعة الخيال تحاول أن تسبق الحوادث وتحاول أن تستعيد مصر. واطرح فكرة عملية. أنتم ترون المصاعب أمام مصر وترون أمامها فرصة لتتحرر وترون المصاعب الاقتصادية والاجتماعية وهي أكثر الأشياء التي تؤثر عليها. فماذا تنتظرون! هل تنتظرون أن تقول مصر ساعدوني.. لقد وعدتموها بخمسة بلايين دولار إذا لم توقع اتفاقية كامب دايفيد. وقد تغير الوضع وجاء حسني مبارك وقال «أنا مش رايح القدس وأنا لا أستطيع أن أسلم».. هذا في صالحكم وهذا في صالحي أيضاً كإنسان عربي أن أشجع هذا الاتجاه.. في صالحي أن يحصل تغيير وفي صالحي أن لا تتمكن أميركا وإسرائيل من هدم الصلة العربية المصرية. فإذا كنتم تسألون كيف ستساعدون مصر ومتى. أقول اليوم حتى لا نضيع كلنا غداً.

لا بد للعالم العربي أيضاً وليس مصر وحدها أن تغير كل الحكايات حكاية الشيوعية الدولية وحكاية الأحلاف وحكاية القواعد وحكاية الاعتماد على أميركا. وحتى لو لم نكن نريد أحلافاً فنحن بحاجة إلى سياسة مستقلة نحن بحاجة إلى شيئين أساسيين.

١ ـ في حاجة إلى تأكيد وجودنا القومي وليس الطائفي أو المذهبي.

٢ ـ في حاجة إلى سياسة مستقلة. وكلاهما في اعتقادي لا يتحقق إلا بدور فعال ونشيط لمصر.

أنت تعرف كم كنت معارضاً لكامب دايفيد والسياسات التي كنا مختلفين معها. وهي سياسات ليس لها مستقبل. ولكن هناك فرقاً بين الحقائق السياسية والحقائق التاريخية. فالحقائق السياسية في يوم من الأيام لن أجدها أما الحقائق التاريخية فهي ثابتة لا تتغير وعروبة مصر حقيقة تاريخية أما العلاقة بين مصر وإسرائيل فهي نوع من الحقيقة السياسية القابلة للتغيير إلا أن ما هو غير قابل للتغيير

دماء مصر العربية. وبالتالي علينا كلنا وعلى العالم العربي أن يفكر كيف يساعد على تغيير ما هو قابل للتغيير وعلى تأكيد ما لا بد من تأكيده.

● **الـوطـن - الانسحاب الإسرائيلي من سيناء هل يوسـع حرية الحركة المصرية في الدائرة العربية وإلى أي مدى برأيكم تتاح له هذه الفرصة؟**

■ كـل حـركـة سياسية في الدنيا ليست باتجاه واحد. وبلا شك أن الحركة السياسية المصرية بعد الانسحاب يمكن وصفها نظرياً أنها أقدر منها قبل الانسحاب ولكنها مقيدة بالظروف التي تحدثنا عنها. وهذه السياسة بحاجة إلى الآتي:

١ - تشجيع.

٢ - تعاون قوي.

٣ - رؤية مشتركة.

المشكلة في العالم العربي أننا نتحركْ أقل كثيراً مما ينبغي ونتأخر كثيراً عما ينبغي فلو أن الخمسة بلايين دولار التي عرضت على مصر في قمة بغداد حتى لا تسير في خط كامب دايفيد - وأنا آسف أن أتكلم بهذا - لو أن هذا العرض قدم إلى مصر بعد حرب أكتوبر لكان ساهم بحل مشاكل كثيرة جداً. ولكن المساعدات العربية كانت شحيحة جداً وليس مكتومة في السر. وحتى هذا اليوم لا يستطيع أحد أن يعرف حجم هذه المساعدات التي قدمها العرب لمصر.

وأؤكد مرة أخرى أن المساعدة كانت أقل مما يجب ومتأخرة عما يجب. وأسوأ من هذا أنها أديرت بطريقة خاطئة. وعلى سبيل المثال أن كل الصناديق العربية تتقاضى فوائد مماثلة لفوائد البنك الدولي. وتحتذي في صيغ عقودها مع الدول الشقيقة القاعدة التي يعتمدها البنك الدولي.

أقول إن الأرقام غير واضحة، وحجم المساعدات غير واضح، وقد ارتكبنا أخطاء فظيعة ربما حصلت بعضها بحسن نية ولكن البعض استغلها للتشويش. إن هذا الوضع المغلوط آنذاك لا يمكن أن يستمر وحان الوقت لإصلاح هذه الأخطاء.

وفي ظل عدم وجود حصر للمساعدات العربية - كما قلت - والتي كانت

متواضعة جداً ومتأخرة جداً. شعر الشعب المصري أن أمته تخلت عنه في الظروف العصيبة. إذ بعد أن صدرته لمعاركها تخلت عنه في دفع تكاليف واستغل هذا في مصر ووضعت الصناديق العربية كلها عليه شروطاً تماثل شروط البنك الدولي في وقت يدير بنك تشيز منهاتن أموال المجموعة الخليجية وهذا غير معقول أبداً.

إن الفصل في هذا الموضوع أن الحقائق التاريخية باقية وأن الحقائق السياسية قابلة للتغيير. ونحن بالتأكيد محتاجون إلى أمرين أساسيين:

أولاً ـ الانتماء القومي حيث أن الكيانات الصغيرة حتى لو لم تكن قادرة على بناء ذاتها فإنها تستطيع أن تجد في الإطار القومي حياتها وأمنها.

وأقول لك إن المخاطر تأتي في المرحلة الحالية من مصدرين:

١ ـ المخاطر الإسرائيلية: وأعتقد أنه ليس في إسرائيل ما يخيف، لأن كل ما هو قائم فيها قابل للتغيير. حيث أن كل ما فيها مستعار: أرض مستعارة «أو محتلة» من الشعب الفلسطيني، قوة مستعارة من أميركا! وصلافة مستعارة من هتلر.

٢ ـ المخاطر الإيرانية على الجناح الشرقي للوطن العربي. لقد أيدت الثورة الإيرانية في بدايتها وتحمست لها كظاهرة إنسانية جداً. وقد كان منظر الناس بالنسبة لي الذين يقاومون القوات المسلحة في الشوارع واستعدادهم للموت منظراً مؤثراً. وما زلت أعتبر الثورة الإيرانية فعلاً من الظواهر الإنسانية الهامة جداً في القرن العشرين. ولكن مع الأسف الشديد وقد قلت هذا الكلام وكتبته مبكراً جداً منذ سنة ٧٩ ـ وأكدته للطلبة الإيرانيين الذين يحتلون السفارة الأميركية في طهران وقلت لهم إنكم بالطريقة هذه تنكمشون في الثورة الإيرانية من ظاهرة إنسانية إلى ظاهرة إسلامية، إلى ظاهرة شيعية، ثم إلى ظاهرة شيعية في إيران. وهذا خطر جداً. وإن الفكرة القومية لديهم كانت مشوشة إلى حد كبير وقد تكلمت معهم نصف الوقت. تقريباً بالمسألة القومية وقلت لهم إن بجانبكم أمة لديها كل مقومات الأمة. أمة مستكملة أسباب ودواعي وجودها والإسلام ليس بعيداً عن هذه الدواعي والأسباب.

ومن سوء الحظ أن الأمور تطورت في الاتجاه نفسه. ويراودني قلق كبير عندما

أسمع أحداً يقول في الخارج إن الصراعات القادمة ستكون ذات طبيعة طائفية. وهذا ما كنا نحذر منه باستمرار. ففي غياب التناقضات الأساسية لا بد أن تظهر التناقضات الفرعية. مما يدخلنا في مشاكل طائفية أو في مشاكل حدود وهكذا تقع الكارثة.

ثانياً ـ الإستقلال القومي الذي من شأنه أن يغير ميزان القوى في المنطقة ففي الوقت الذي نجد فيه أوروبا تحاول الابتعاد عن الاستقطاب الدولي خائفة من احتمال الصدام القادم بين القوتين الأعظم: وفي الوقت الذي يدور فيه داخل أميركا نفسها حوار واسع ـ كما حدث مؤخراً ـ حول التوازن النووي. حيث وصل عدد كبير جداً من قادة الفكر الاستراتيجي في أميركا مثل جورج باندي وغيره إلى أن الاتحاد السوفياتي لم يعد متخلفاً في قواه الضاربة كما كان في الخمسينات والستينات. وأنه على الولايات المتحدة أن تتخلى عن فكرة الضربة الأولى لأنها لم تعد ممكنة إذ أصبح من الواضح أن هناك توازناً قائماً على أقل تقدير بين أميركا والاتحاد السوفياتي.

في هذا الوقت بالذات نعلن انحيازنا لأميركا ونبدي استعداداً لإعطاء قواعد وتسهيلات وندعو لمحاربة الشيوعية الدولية متجاهلين كل الحقائق الجديدة.

وأتصور أن الوقت قد حان لنؤكد جميعاً الطابع القومي وهويتنا القومية من جهة ونؤكد الاستقلال القومي من جهة أخرى. وباعتقادي أن تحقيق هذين الهدفين لا بد أن يراعي وبصفة أساسية استعادة الدور المصري. وفي مؤتمر عدم الانحياز المقبل في بغداد يجب أن يكون العالم العربي قادراً على لعب دور مؤثر وخلاق. فالمطلوب منا جميعاً بذل جهد مكثف من الآن وحتى انعقاد المؤتمر لنذهب إلى بغداد ونحن على اتفاق على خطين أو ثلاثة من الخطوط الأساسية.

● الوطن ـ كيف يمكن برأيكم وعلى ضوء المتغيرات الجديدة إعادة العلاقات المصرية العربية إلى طبيعتها وما هي الواجبات المترتبة على كل من الطرفين ؟

■ إنني مدرك أن هناك متغيرات مهمة جداً تحدث في العالم ويمكن إيجاز هذه المتغيرات بالتالي:

المتغير الأول: أن العلاقات بين القوتين الأكبر قد اختلفت حتى أن الرئيس الأميركي رونالد ريغان الذي كان يقول قبل سنة إنه لن يتكلم بالأسلحة النووية يجد نفسه اليوم مضطراً للحديث عن هذا الموضوع .وأشرت إلى أن أقوى الأصوات في أميركا تتحدث اليوم عن ضرورة الحد من السباق النووي.

المتغير الثاني: أن التوازن الفكري والإنساني في المعسكرين الشرقي والغربي على حد سواء يتعرض للتغيير. وكلنا نعرف ماذا حدث في بولندا وفي أوروبا الغربية خاصة المانيا وهولندا حيث لم يعد أحد مقتنعاً باتجاهات الاستقطاب القديم. ويبرز في هذا الإطار تيار إنساني أقوى من كل الأحلاف السابقة وهو موجود ويؤكد نفسه باستمرار.

المتغير الثالث: أن الوقت أصبح محدوداً جداً أمامنا فالبترول الذي كنا نعتبره سلاحاً فعالاً لم يعد سلاحاً. وتكاد تكون قوته المالية والاقتصادية قد طوقت. حتى أن أرصدته بدأت تنحدر فعلاً. وليس أدل على ذلك من أن الكويت مثلاً تعلن عن عجز في ميزانيتها كما صرح عبد اللطيف الحمد مؤخراً. فالوقت الباقي لنا في ظل انخفاض مواردنا أصبح محدوداً لنتمكن من تصحيح توجهاتنا في الثمانينات والتسعينات.

ومن هنا أتصور أنه لو كان استبقاء مصر في العالم العربي ضرورياً عند توقيع معاهدة كامب دايفيد سنة ١٩٧٩ فإن استعادة مصر اليوم أكثر ضرورة مما مضى وبالتالي لا بديل عن مبادرات جريئة وجريئة جداً لتصحيح هذا الوضع. وأعتقد أنه عندما تقول إسرائيل لأميركا من فضلكم بلغوا المصريين أنكم ستقطعون المساعدات عنهم إذا تخلوا عن تعهداتهم فإن الرئيس المصري الجديد لا يملك أن يواجه مثل هذا الاحتمال. وأتساءل ما الذي يمنع دول الخليج التي دفعت وتدفع أموالاً طائلة في كثير من المجالات إذا جاءت وعرضت على مصر خمسة بلايين دولار لكي تحررها من أي ضغط في المرحلة الحساسة المقبلة. أما أن تجلسوا على شاطىء الخليج وتنظروا إلى ما يحصل في قلب العالم العربي وتقولوا، ماذا سيفعلون فهذا لا يكفي. لأن الآخرين سيسألونكم أيضاً: وأنتم ماذا ستفعلون؟!

أقول هذا وأنا مدرك للصعوبات وأهمها وجود علاقة بين مصر وإسرائيل. ولكن في هذا الوقت يمكن تحقيق أشياء كثيرة ضاعت منا سواء في الخليج أو شبه الجزيرة العربية أو المغرب العربي أو في مصر نفسها. وإلا نحن مقبلون على حروب طوائف وحروب دينية ليس لها حدود. فكل العالم العربي مهدد بما حدث في لبنان لا يستثنى منه أحد بما فيه مصر مع الأسف الشديد حيث شهدنا في الخريف الماضي ما سمي بفتنة طائفية لأننا تركنا ما هو رئيسي في حياتنا واندفعنا إلى ما هو فرعي.

● **الوطن ـ ما هو تأثير قوى وأحزاب المعارضة في المعادلات الجديدة التي تتشكل في مصر حالياً. وهل ترى أن المعارضة أعطت مبارك هدنة مؤقتة أم أن في الأفق بداية لمرحلة الوفاق السياسي على الساحة المصرية؟**

■ أتخيل صورة العمل السياسي أنه ليس ماء تنساب في مسار واحد. فأنت أمام قوى متعددة تتفاعل وتتحرك. وهذا التفاعل وهذا التحرك يخلقان «ديناميكية» العمل السياسي. وإذا نظرنا في مواقف المعارضة المصرية نجد أنها تقول إن العلاقة مع إسرائيل قد وصلت إلى طريق مسدود. وهذه المعارضة تبقى في وضع متعب جداً إذا لم يكن أمام صانع القرار المصري بدائل معينة فنحن بحاجة إلى فتح البدائل وهذا ما كنت أقوم به في علاقتي مع السادات قبل الاختلاف معه وقبل المبادرة ومع عبد الناصر أيضاً. إذ كنت أحاول أن أجعل صانع القرار المصري على صلة مع كل التطورات سواء كانت أحداثاً أو أفكاراً حتى لا يفاجأ بشيء يحدث أو يفاجأ برأي يقال: فإذا ما طرأ طارىء أمامه لا يجد نفسه مقيداً في خياراته بحيث يقول ليس أمامي إلا أن أفعل هذا لأنه الطريق الوحيد المفتوح.

وعند الحديث عن المعارضة المصرية لا بد من الإشارة إلى أن مجتمعاتنا كلها مهيأة لتقوم فيها المعارضة بدور تصحيحي. وبالرغم من أن هناك تياراً سياسياً سيبقى لفترة طويلة جداً متأثراً بتوجهات سلطة الدولة التي تعطي لنفسها شرعية بمقدار ما تتجاوب مع أماني الناس وتطلعاتهم. بالرغم من ذلك أعتقد أن المعارضة المصرية لا بد أن توسع دائرة الخيارات أمام صانع القرار المصري وستكون هذه المعارضة عقيمة إن لم يكن في استطاعتها أن تفعل هذا.

لا شك أن المعارضة المصرية وهي قوى وطنية موجودة ضمن التركيبة المصرية قد أعطت هدنة ـ كما تقول ـ ولكن ما الذي جعلها تعطي هذه الهدنة أو فترة السماح؟ لأن الظروف تغيرت بالطريقة التي نعرفها ولم يكن في يد أحد أن يتخذ المبادرة في الظروف الصعبة حتى سلطة الدولة كانت عاجزة عن اتخاذ القرار. ولنأخذ مثلاً الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية التي كان يكتنفها الغموض لأن الأرقام غير معروفة، هذه الأوضاع دفعت حسني مبارك لعقد مؤتمر اقتصادي حتى يعرف ما هي الحقيقة.

الحقيقة الاقتصادية الآن واضحة أمامنا، والحقيقة الاجتماعية واضحة أيضاً. وهاتان الحقيقتان مرعبتان ودون شك أن المعارضة المصرية ستتحرك في هذا الإطار إذا لم تتسع دائرة الخيارات. فالنظام محاصر والمعارضة أيضاً محاصرة. النظام محاصر في قراراته والمعارضة محاصرة في البدائل التي يمكن أن تقدمها. وبالتالي نسأل أنفسنا كيف يمكن أن يساهم الكل في محاولة خلاقة وجريئة وبناءة ومتسقة مع التاريخ للتغلب على المشاكل؟

مع تسليمي بمصائب ما حدث إلا أنه علينا أن نتجاوزه إذ لا نستطيع أن نجلس على الأطلال ونندب ونحن قادرون على تجاوز هذا الوضع. فالأمم العظيمة هي القادرة على تلقي الصدمات وليس على توجيه الصدمات فقط. إسرائيل مثلاً قادرة على أن تضرب ولكن لا تستطيع أن تتحمل صدمة لأنها قد تدمر. فلم تكن لتتحمل حرب ١٩٦٧ التي تحملناها وهم يدركون هذا إدراكاً تاماً. لقد تحملنا نحن نتائج حرب ٦٧ وغيرها وتحملنا أيضاً الخرافة وهي مبادرة السلام ولكن كلاهما ترك أمامنا حقائق سياسية قابلة للتجاوز وقابلة للنسيان. وقابلة للتغيير والتصحيح. والأمة العربية القادرة على تجاوز كل هذا لأنها قائمة الحقائق التاريخية التي لا تتغير.

لقد نقلنا عن الغرب الأوضاع الكلاسيكية المتمثلة بالحكومة والمعارضة ولكن فاتنا أن هناك توجد طبقات اكتمل نموها وبالتالي نشأت أحزاب سياسية تعبر عن مصالحها. وأصبحت الديموقراطية حواراً بين هذه الطلائع السياسية المتمثلة في الأحزاب وأصبح اختيار الشعب كذلك على أساس برامج القوى السياسية المختلفة.

في مجتمعاتنا هناك طبقات لم تتكون. فقد كان لدينا مشروع برجوازي ما لبث أن ضرب. وكان لدينا مشروع طبقة وسطى ما لبث أن ضرب أيضاً وحل محل الطبقة الوسطى طبقة طفيلية وهي ليست طبقة بمعنى الكلمة وإنما جماعات متفاوتة. فتركيبنا الاجتماعي بحد ذاته يحتاج لعملية نمو حتى يكتمل، ولا بد للمعارضة حتى تكون معارضة حقيقية أن تدخل في حوار وطني حقيقي وتدخل كذلك في صياغة البدائل المطروحة وتوسيع دائرة الخيارات أمامها وأمام الحكومة وأمام النظام بصفة عامة.

● **الـوطـن - هل تعتقد أستاذ هيكل أننا على أبواب مرحلة من الائتلاف الوطني، أو أن المخرج يمكن أن يتم عبر الائتلاف الوطني في مصر؟**

■ عنـدما أقول أريد أن أشكل ائتلافاً وطنياً بين قوى متعددة لا بد أن أسأل ماذا تعني قوى متعددة وكيف يمكن أن يقوم ائتلاف بينها؟

في أوروبا عندما يتكلمون عن ائتلاف وطني على سبيل المثال فإنه ليس هناك من قوة سياسية إلا إذا كانت تعبر عن توجه اجتماعي. لكن في مجتمعاتنا هنا القوى ما زالت في طور التشكل. وبالتالي تعبيرها الاجتماعي أو السياسي لا يخلو من تداخلات كثيرة. ولنفرض جدلاً أن حسني مبارك رغب في تشكيل حكومة ائتلاف وطني فما هي الأسس التي تتمثل فيها القوى.. ومن يمثل من.. وما هي القاعدة التي تشكل مقياساً حقيقياً لهذا الحزب أو ذاك؟

أعتقد أنه لا بد من حوار وطنـي أولاً وعملية فرز للقـوى الحقيقية ثانياً قبـل الحديث عن الائتلاف. ولكننا نذكر تجربة الرئيس عبد الناصر عندما طرح صيغة للائتلاف بين القوى الشعبية. وأتصور أنه ليس هناك قوة في مصر تستطيع أن تحكم لوحدها. وعندما نتحدث عن الائتلاف الوطني نستوحي التجارب الأوروبية أحياناً أو تجاربنا السابقة التي تمت تحت السيطرة الاستعمارية أحياناً أخرى ولـكن في الحالتين كانت هناك قوى محددة، وقد تغيرت القوى المصرية اليوم تغيراً جذرياً ولهذا فإن الحديث عن الائتلاف الوطني حديث سابق لأوانه لأننا بحاجة إلى أمرين أساسيين قبل طرحه أو تداوله وهما:

١ ـ عملية حوار.

٢ ـ عملية فرز.

وبعد هاتين العمليتين تأتي عملية التجمع أو بناء التحالف الوطني الذي يمكن أن يواجه المرحلة المقبلة سواء محلياً أو عربياً أو دولياً وأي كلام في الائتلاف اليوم، إما أن يكون تعبيراً عن تمنيات أصحاب هذا الكلام وإما لكرم رئيس الدولة. وكلا السببين ليس أساساً صالحاً لبناء الائتلاف الوطني الحقيقي الذي لا يمكن أن يقوم لا على أساس التمنيات ولا على أساس ما يتكرم به رئيس الدولة. وحتى كل القوى عندما تحترم نفسها وتقول نعم أنا أمثل كذا لا بد أن تكون أمام الدولة وأمام نفسها تعرف ماذا تمثل. ولكن اليوم كل هذه القوى كميات مجهولة ولا أقصد أن أحداً لا يعرفها وإنما أقول إن وزنها الحقيقي في الساحة يحتاج إلى مراجعة واسعة.

● **الـوطـن ـ يعتقد بعض المراقبين أن الصراع العربي ـ الإسرائيلي أصبح محكوماً اليوم بمعاهدة الصداقة السـورية السـوفياتية من جهـة وبمعاهـدة التعاون الاستراتيجي بين إسـرائيل والـولايات المتحـدة من جهـة أخـرى وبالتالي فإن المنطقة دخلت مجال الاستقطاب الدولي الفعلـي. ما رأيكم بهذا وهل يشكل برأيكم نقلة جديدة في طبيعة الصراع؟**

■ التـوتـر المحكوم ليس جديداً وإنما هو بقايا لمرحلة سابقة. فقد عاشت فيه المنطقة منذ نهاية الحرب الباردة بين العملاقين لغـاية اليوم. ونـذكر أن الاتحـاد السوفياتي كان موجوداً في عام ١٩٧٣ وأميركا أيضاً كانت موجودة. وقد قام كلاهما بتحركات أمام بعضهما البعض ولكن في حدود معينة. لكنني أعتقد أننا اليوم أمام أوضاع تختلف عما سبقها لأن موازين القوى تختلف عن الماضي من جهة، ولأن هناك قوى كثيرة في العالم تستيقظ على حقائق جديدة من جهة أخرى.

● **الـوطـن ـ ما هو مغزى العلاقة برأيكم بين قرار إسرائيل بالانسحاب من سيناء وقرارها بالاعتداء على لبنان واللذين صدرا في آن واحد؟**

■ إن هــدف إسرائيل الثابت أن تبقى مصر بعيدة عن العالم العربي. وجزء كبير جداً من المشاكل التي افتعلتها إسرائيل أمام حسني مبارك كانت نتيجة شعورها أن العزلة بين مصر والعالم العربي ليست عزلة عميقة. وبالتالي حتى هذه اللحظة

تحاول إختلاق مشاكل كثيرة أمام مصر ولعل أهمها مشكلة طابا حيث تسعى إسرائيل إلى تعديل الحدود. وفي نفس الوقت يأتي عدوانها على جنوب لبنان من باب إضافة مشاكل جديدة في علاقاتها السياسية مع مصر وفي علاقات مصر مع العالم العربي. وأتصور أن بيغن يتصرف ـ وهذا ما لا ترونه أنتم ـ بهاجس الحقيقة السياسية القائمة بين مصر وإسرائيل والقابلة للتغيير وبهاجس الحقيقة التاريخية القائمة بين مصر والعرب وغير القابلة للتغيير وبالتالي تتميز تصرفاته بالفظاظة والعصبية نتيجة ما يستشعر به من جراء هذا التناقض حتى مواقف المعارضة الإسرائيلية لا تخلو من القلق والتوتر.